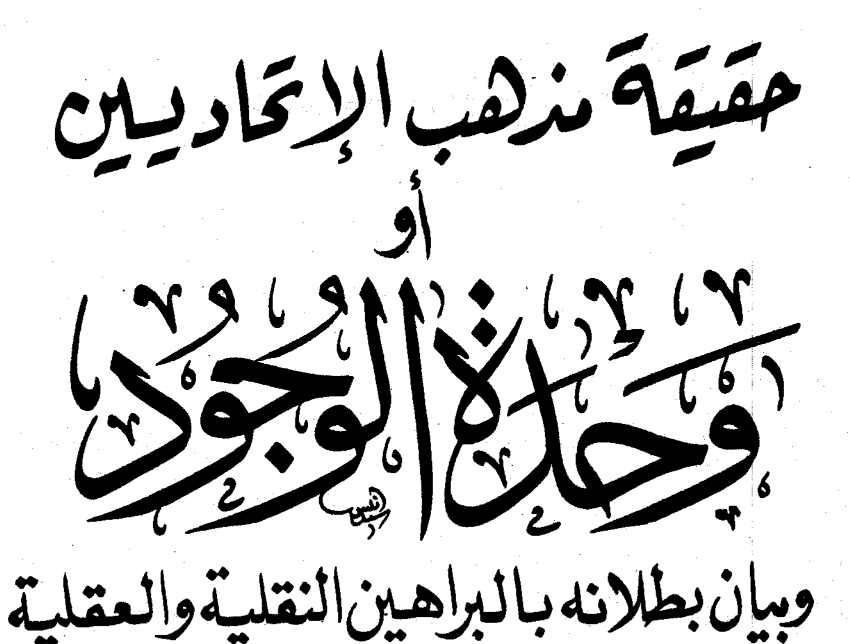


تأليف

شيخ الاسلام ابن تيميه رحمه الله

اشرف على تصحيحه وعلق عليه حواشيه

السيد محمد رشيد رضا (رحمه الله)

الناشر محمد صادق خليل مدير ضياء السنة

إدارة الترجمة والتأليف ـ فيصل اباد

باكستان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ رسالة شيخ الاسلام الى من سأله عن حقيقة مذهب الاتحاديين أي القائلين بوحدة الوجود ﴾

الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين * وأشهد أن لا إله إلا الله الاحد الحق المبين، وأشهد ان محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين ﷺ تسليما كثيراً وعلى سائر اخوانه المرسلين

(أما بعد) فقد وصل كتابك تلتمس فيه بيان حقيقة مذهب هؤلاء الاتحادية وبيان بطلانه، وانك كنت قد سمعت مني بعض البيان لفساد قولهم ، وضاق الوقت بك عن استتمام بقية البيان ، وأعجلك السفر، حتى رأيت عندكم بعض من ينصر قولهم ممن ينتسب الى الطريقة والحقيقة ، وصادف مني كتابك موقعا، ووجد محلا قابلا ، وقد كتبت اليك بما ارجو من الله أن ينفع به المؤمنين ، ويدفع به بأس هؤلاء الملاحدة المنافقين، الذين يلحدون في أسماء الله وآياته المخلوقات والمنزلات في كتابه المبين ، ويبين الفرق بين ما عليه أهل التحقيق واليقين ، من اهل العلم والمعرفة المهتدين ، وبين ما عليه هؤلاء الزنادقة المتشبهين بالعارفين، كما تشبه بالانبياء من تشبه من المتنبئين ، وكما شبهوا بكلام الله ما شبهوه به من الشعر المفتعل وأحاديث المفترين ، لتبيين ان هؤلاء من جنس الكفار المنافقين المرتدين ، اتباع فرعون والقرامطة الباطنيين ، وأصحاب مسيلمة والعنسي ونحوهما من المفترين ، وان اهل العلم والايمان من الصديقين والشهداء والصالحين، سواء كانوا من المقربين السابقين او من المقتصدين اصحاب اليمين ، هم من اتباع ابراهيم الخليل وموسى الكليم، ومحمد المبعوث الى الناس اجمعين . وقد فرق الله في كتابه المبين الذي جعله حاكما بين الناس فيما اختلفوا فيه من الحق بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والمؤمنين والكافرين ، وقال تعالى (ام حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء مايحكمون ؟) وقال (ام نجعل

الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار ؟) وقال (افنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون ؟)

وقد بين حال من تشبه بالانبياء وباهل العلم والايمان من اهل الكذب والفجور الملبوس عليهم اللابسين. وأخبر ان لهم تنزلا ووحيا ولكن من الشياطين، فقال تعالى (وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم وان اطعمتوهم انكم لمشركون) وقال تعالى (هل انبئكم على من تنزل الشياطين ؟ تنزل على كل أفاك اثيم) وأخبر ان كل من ارتد عن دين الله فلا بد ان يأتي الله بدله بمن يقيم دينه المبين، فقال (ياايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم)

وذلك ان مذهب هؤلاء الملاحدة فيما يقولونه من الكلام وينظمونه من الشعر بين حديث مفترى وشعر مفتعل . واليهما اشار ابو بكر الصديق رضي الله عنه لما قال له عمر بن الخطاب في بعض مايخاطبه به: ياخليفة رسول الله تألف الناس. فأخذ بلحيته وقال : يا ابن الخطاب ، أجباراً في الجاهلية خواراً في الاسلام؟ علام أتألفهم؟ أعلى حديث مفترى ؟ ام شعر مفتعل ؟ يقول: اني لست أدعوهم إلى حديث مفترى كقرآن مسيلمة ، ولا شعر مفتعل كشعر طليحة الاسدي .

وهذان النوعان هما اللذان يعارض بهما القرآن اهل الفجور والافك المبين ، قال تعالى (فلا أقسم بما تبصرون ومالا تبصرون انه لقول رسول كريم) الى آخر الآية . وقال تعالى (وانه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الامين) الآيات إلى قوله (وما تنزلت به الشياطين) الى آخر السورة . فذكر في هذه السورة علامة الكهان الكاذبين، والشعراء الغاوين، ونزهه عن هذين الصنفين كما في سورة الحاقة. وقال تعالى (انه لقول رسول كريم * ذي قوة عند ذي العرش مكين) الى آخر السورة . فالرسول هنا جبريل . وفي الآية الاولى محمد ﷺ. ولهذا نزه محمداً هناك ان يكون شاعراً او كاهنا ونزه هنا الرسول اليه ان يكون من الشياطين

فصل

اعلم - هداك الله وأرشدك - ان تصور مذهب هؤلاء كاف في بيان فساده ولا يحتاج مع حسن التصور الى دليل آخر، وانما تقع الشبهة لان أكثر الناس لايفهمون حقيقة قولهم وقصدهم، لما فيه من الالفاظ المجملة والمشتركة، بل وهم أيضا لايفهمون حقيقة مايقصدونه ويقولونه، ولهذا يتناقضون كثيراً في قولهم، وانما يتخيلون شيئا ويقولونه او يتبعونه، ولهذا قد افترقوا بينهم على فرق، ولا يهتدون إلى التمييز بين فرقهم، مع استشعارهم انهم مفترقون، ولهذا لما بينت لطوائف من اتباعهم ورؤسائهم حقيقة قولهم، وسر مذهبهم، صاروا يعظمون ذلك، ولولا ما اقرنه بذلك من الذم والرد لجعلوني من أئمتهم، وبذلوا لي من طاعة نفوسهم وأموالهم مايجل عن الوصف، كما تبذله النصارى لرؤسائهم، والاسماعيلية لكبرائهم، وكما بذل آل فرعون لفرعون،

وكل من يقبل قول هؤلاء فهو أحد رجلين اما جاهل بحقيقة امرهم، وإما ظالم يريد علواً في الارض وفساداً، او جامع بين الوصفين. وهذه حال اتباع فرعون الذين قال الله فيهم (فاستخف قومه فأطاعوه) وحال القرامطة مع رؤسائهم، وحال الكفار والمنافقين في أئمتهم الذين يدعون إلى النار ويوم القيامة لاينصرون (إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا) الى آخر الآية وقوله (والعنهم لعنا كبيرا) وقال تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً - إلى قوله - وما هم بخارجين من النار)

فصل

اعلم ان حقيقة قول هؤلاء ان وجود الكائنات هو عين وجود الله تعالى ليس وجودها غيره ولا شيء سواه ألبتة، ولهذا من سماهم حلولية أو قال هم قائلون بالحلول رأوه محجوبا عن معرفة قولهم خارجا عن الدخول الى باطن امرهم، لأن من قال ان الله يحل في المخلوقات فقد قال بأن المحل غير الحال، وهذا تثنية عندهم واثبات لموجودين (احدهما) وجود الحق الحال (والثاني) وجود المخلوق المحل

وهم لايقرون باثبات وجودين ألبتة . ولا ريب ان هـذا القول اقل كفراً من قولهم،وهو قول كثير من الجهمية الذين كان السلف يردون قولهم ،وهم الذين يزعمون ان الله بذاته في كل مكان . وقد ذكره جماعات من الائمة والسلف عن الجهمية وكفروهم به ، بل جعلهم خلق من الائمة ـ كابن المبارك ويوسف بن اسباط وطائفة من اهل العلم والحديث من اصحاب احمد وغيره ـ خارجين بذلك عن الثنتين والسبعين فرقة . وهو قول بعض متكلمة الجهمية وكثير من متعبديهم . ولا ريب ان إلحاد هؤلاء المتأخرين وتجهمهم وزندقتهم تفريع وتكميل لالحاد هذه الجهمية الاولى وتجهمها وزندقتها

وأما وجه تسميتهم اتحادية ففيه طريقان (احدهما) لايرضونه لان الاتحاد على وزن الاقتران والاقتران يقتضي شيئين اتحد احدهما بالآخر وهم لايقرون بوجودين أبدا (والطريق الثاني) صحة ذلك بناء على ان الكثرة صارت وحدة كما سأبينه من اضطرابهم

وهذه الطريقة إما على مذهب ابن عربي فانه يجعل الوجود غير الثبوت ويقول ان وجود الحق قاض على ثبوت الممكنات ، فيصح الاتحاد بين الوجود والثبوت واما على قول من لايفرق فيقول ان الكثرة الخيالية صارت وحدة بعد الكشف او الكثرة العينية صارت وحدة اطلاقية

فصل

ولما كان أصلهم الذي بنوا عليه ان وجود المخلوقات والمصنوعات حتى وجود الجن والشياطين والكافرين والفاسقين والكلاب والخنازير والنجاسات والكفر والفسوق والعصيان عين وجود الرب،لا انه متميز عنه منفصل عن ذاته، وان كان مخلوقا له مربوباً مصنوعا له قائما به؛ وهم يشهدون ان في الكائنات تفرقا وكثرة ظاهرة بالحس والعقل،فاحتاجوا الى جمع يزيل الكثرة،ووحدة ترفع التفرق مع ثبوتها،فاضطربوا على ثلاث مقالات ، انا ابينها لك وان كانوا هم لايبين بعضهم مقالة نفسه ومقالة غيره لعدم كمال شهود الحق وتصوره

المقالة الاولى

﴿ مقالة ابن عربي صاحب فصوص الحكم ﴾

وهي مع كونها كفرا فهو اقربهم الى الاسلام لما يوجد في كلامه من الكلام الجيد كثيرا ، ولانه لا يثبت على الاتحاد ثبات غيره ، بل هو كثير الاضطراب فيه ، وانما هو قائم مع خياله الواسع الذي يتخيل فيه الحق تارة والباطل اخرى . والله اعلم بما مات عليه . فان مقالته مبنية على اصلين

الاصل الاول لمذهب ابن عربي

(احدهما) ان المعدوم شيء ثابت في العدم ، موافقة لمن قال ذلك من المعتزلة والرافضة . واول من ابتدع هذه المقالة في الاسلام ابو عثمان الشحام شيخ ابي علي الجبائي وتبعه عليها طوائف من القدرية المبتدعة من المعتزلة والرافضة ، وهؤلاء يقولون ان كل معدوم يمكن وجوده فان حقيقته وماهيته وعينه ثابتة في العدم ، لانه لولا ثبوتها لما تميز المعلوم المخبر عنه من غير المعلوم المخبر عنه ، ولما صح قصد ما يراد ايجاده ، لان القصد يستدعي التمييز ، والتمييز لا يكون الا في شيء ثابت ، لكن هؤلاء وان ابتدعوا هذه المقالة التي هي باطلة في نفسها وقد كفرهم بها طوائف من متكلمة السنة ـ فهم يعترفون بان الله خلق وجودها ، ولا يقولون ان عين وجودها عين وجود الحق . واما صاحب الفصوص واتباعه فيقولون : عين وجودها عين وجود الحق ، فهي متميزة بذواتها الثابتة في العدم متحدة بوجود الحق العالم بها . وعامة كلامه ينبني على هذا لمن تدبره وفهمه

وهؤلاء القائلون بان المعدوم شيء ثابت في العدم سواء قالوا بان وجودها خلق الله او هو الله ، يقولون إن الماهيات والاعيان غير مجعولة ولا مخلوقة وان وجود كل شيء قدر زائد على ماهيته ، وقد يقولون الوجود صفة للموجود

وهذا القول وإن كان فيه شبه بقول القائلين بقدم العالم او القائلين بقدم مادة

العالم وهيولاه المتميزة عن صورته فليس هو اياه، وان كان بينهما قدر مشترك، فان هذه الصورة المحدثة من الحيوان والنبات والمعادن ليست قديمة باتفاق جميع العقلاء، بل هي كائنة بعد ان لم تكن، وكذلك الصفات والاعراض القائمة باجسام السموات والاستحالات القائمة بالعناصر من حركات الكواكب والشمس والقمر والسحاب والمطر والرعد والبرق وغير ذلك، كل هذا حادث غير قديم، عند كل ذي حس سليم، فانه يرى ذلك بعينه. والذين يقولون بان عين المعدوم ثابتة في القدم او بان مادته قديمة يقولون بان أعيان جميع هذه الاشياء ثابتة في القدم، ويقولون ان مواد جميع العالم قديمة دون صوره

واعلم أن المذهب إذا كان باطلا في نفسه لم يمكن الناقد له ان ينقله على وجه يتصور تصورا حقيقيا فان هذا لا يكون الا للحق. فاما القول الباطل فاذا بين فبيانه يظهر فساده، حتى يقال كيف اشتبه هذا على أحد ويتعجب من اعتقادهم إياه، ولا ينبغي للانسان ان يعجب، فما من شيء يتخيل من انواع الباطل الا وقد ذهب اليه فريق من الناس. ولهذا وصف الله أهل الباطل بانهم أموات وأنهم (صم بكم عمي) وانهم (لا يفقهون*ولا يعقلون) وانهم (في قول مختلف يؤفك عنه من أفك) وانهم (في ريبهم يترددون) وانهم (يعمهون)

وانما نشأ ـ والله أعلم ـ الاشتباه على هؤلاء من حيث رأوا أن الله سبحانه يعلم مالم يكن قبل كونه ـ أو (إنما امره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) فرأوا ان المعدوم الذي يخلقه يتميز في علمه وإرادته وقدرته، فظنوا ذلك لتميز ذات له ثابتة وليس الامر كذلك. وانما هو متميز في علم الله وكتابه، والواحد منا يعلم الموجود والمعدوم الممكن والمعدوم المستحيل، ويعلم ما كان كآدم والانبياء، ويعلم مايكون كالقيامة والحساب، ويعلم مالم يكن لو كان كيف كان يكون، كما يعلم ما أخبر الله به عن أهل النار (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه) وانهم (لو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم) وانه (لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا) وانه (لو كان فيهما آلهة كما يقولون اذاً الا ابتغوا الى ذي العرش سبيلا) وانهم (لو خرجوا فيكم مازادوكم الا خبالا) وانه (لولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد ابدا)

ونحو ذلك من الجمل الشرطية التي يعلم فيها انتفاء الشرط أو ثبوته.

فهذه الامور التي نعلمها نحن ونتصورها، اما نافين لها أو مثبتين لها في الخارج أو مترددين - ليس بمجرد تصورنا يكون لاعيانها ثبوت في الخارج عن علمنا وأذهاننا، كما نتصور جبل ياقوت وبحر زئبق وانسانا من ذهب وفرسا من حجر. فثبوت الشيء في العلم والتقدير ليس هو ثبوت عينه في الخارج، بل العالم يعلم الشيء ويتكلم به ويكتبه وليس لذاته في الخارج ثبوت ولا وجود أصلا. وهذا هو تقدير الله السابق لخلقه كما في صحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو عن النبي ﷺ قال « ان الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة »

وفي سنن ابي داود عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال « أول ماخلق الله القلم فقال : اكتب قال : رب وما اكتب ؟ قال، اكتب ما هو كائن الى يوم القيامة » وقال ابن عباس « ان الله خلق الخلق وعلم ما هم عاملون ، ثم قال لعلمه « كن كتابا » فكان كتابا ؟ ثم انزل تصديق ذلك في كتابه فقال (ألم تعلم ان الله يعلم مافي السماء والارض، ان ذلك في كتاب) »

وهذا هو معنى الحديث الذي رواه احمد في مسنده عن ميسرة الفجر قال: قلت يارسول الله متى كنت نبيا ، وفي رواية متى كتبت نبيا ؟ - قال « وآدم بين الروح والجسد » هكذا لفظ الحديث الصحيح . وما مايرويه هؤلاء الجهال [١] كابن عربي في الفصوص وغيره من جهال العامة « كنت نبيا وآدم بين الماء والطين » « كنت نبيا وآدم لا ماء ولا طين » فهذا لا اصل له ولم يروه احد من أهل العلم الصادقين ، ولا هو في شيء من كتب العلم المعتمدة بهذا اللفظ بل هو باطل، فان آدم لم يكن بين الماء والطين قط فان الله خلقه من تراب، وخلط التراب بالماء حتى صار طينا ويبس الطين حتى صار صلصالا كالفخار، فلم يكن له حال بين الماء والطين مركب من الماء والتراب، ولو قيل بين الماء والتراب لكان أبعد عن المحال ، مع ان هذه الحال لا اختصاص لها، وانما قال « بين الروح والجسد » و قال « وان آدم لمنجدل في طينته » لان آدم بقي أربعين سنة قبل نفخ الروح فيه كما

(١) أي الجهال بعلم الرواية والاسانيد ونقد الحديث

قال تعالى (هل أتى على الانسان حين من الدهر) الآية وقال تعالى (وإذ قال ربك للملائكة اني خالق بشراً من صلصال) الآيتين. وقال تعالى (الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين)الآيتين وقال تعالى (إذ قال ربك للملائكة اني خالق بشراً من طين) الآية . والاحاديث في خلق آدم ونفخ الروح فيه مشهورة في كتب الحديث والتفسير وغيرهما

فاخبر ﷺ انه كان نبيا أي كتب نبيا وآدم بين الروح والجسد . وهذا والله أعلم لان هذه الحالة فيها يقدر التقدير الذي يكون بايدي ملائكة الخلق فيقدر لهم ويظهر لهم ويكتب مايكون من المخلوق قبل نفخ الروح فيه، كما أخرج الشيخان في الصحيحين وفي سائر الكتب الامهات حديث الصادق المصدوق وهو من الاحاديث المستفيضه التي تلقاها أهل العلم بالقبول وأجمعوا على تصديقها وهو حديث الاعمش عن زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق « ان أحدكم يجمع خلقه في بطن امه أربعين يوما نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله الملك فيؤمر باربع كلمات فيقال: اكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أوسعيد ، ثم ينفخ فيه الروح ـ وقال ـ فو الذي نفسي بيده ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى مايكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار ، وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى مايكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة » فلما أخبر الصادق المصدوق ان الملك يكتب رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد بعد خلق الجسد وقبل نفخ الروح ، وآدم هو أبو البشر كان أيضاً من المناسب لهذا أن يكتب بعد خلق جسده وقبل نفخ الروح فيه مايكون منه ، ومحمد ﷺ سيد ولد آدم فهو أعظم الذرية قدراً وأرفعهم ذكرا ، فأخبر ﷺ انه كتب نبيا حينئذ، وكتابة نبوته هو معنى كون نبوته فانه كون في التقدير الكتابي، ليس كونا في الوجود العيني، إذ نبوته لم يكن وجودها حتى نبأه الله تعالى على رأس أربعين من عمره ﷺ كما قال تعالى (وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا) الآية . وقال (ألم يجدك يتيما فآوى)

الآية . وقال (نحن نقص عليك أحسن القصص) الآية . ولذلك جاء هذا المعنى مفسراً في حديث العرباض بن سارية عن رسول الله ﷺ انه قال «اني عبدالله مكتوب خاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته،وسأخبركم بأول أمري:دعوة ابراهيم،وبشارة عيسى،ورؤيا أمي التي رأت حين وضعتني وقد خرج لها نور أضاءت لها منه قصور الشام » هذا لفظ الحديث من رواية ابن وهب

حدثنا معاوية بن صالح عن سعيد بن سويد عن عبدالأعلى بن هلال السلمي عن العرباض رواه البغوي في شرح السنة هكذا،ورواه الليث بن سعد عنه نحوه، ورواه الامام أحمد في المسند عن ابن مهدي:حدثنا معاويةُ بن صالح بالاسناد عن العرباض.قال قال رسول الله ﷺ « اني عبد الله خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته وسأنبئكم بأول ذلك:دعوةأبي ابراهيم»الحديث. وفيه « كذلك أمهات النبيين يرين » وقوله « لمنجدل في طينته » أي ملتف ومطروح على وجه الارض صورةمن طين لم تجر فيه الروح بعد

وقد روي ان الله كتب اسمه على العرش وعلى مافي الجنة من الابواب والقباب والاوراق ، وروي في ذلك عدة آثار توافق هذه الاحاديث الثابتة التي تبين التنويه باسمه واعلاء ذكره حينئذ

وقد تقدم لفظ الحديث الذي في المسند عن ميسرة الفجر لما قيل له متى كنت نبيا ؟ قال «وآدم بين الروح والجسد » وقد رواه أبو الحسن بن بشران من طريق الشيخ أبي الفرج بن الجوزي في(الوفاء بفضائل المصطفى) ﷺ : حدثنا ابو جعفر محمد بن عمرو حدثنا احمد بن اسحاق بن الح ثنا محمد بن صالح ثنا محمد بن سنان العوفي ثنا ابراهيم بن طهمان عن يزيد بن ميسرة عن عبد الله أبن سفيان عن ميسرة قال قلت: يارسول الله، متى كنت نبيا ؟ قال «لما خلق الله الارض واستوى الى السماء فسواهن سبع سموات وخلق العرش كتب على ساق العرش محمد رسول الله خاتم الانبياء وخلق الله الجنة التي أسكنها آدم وحواء فكتب اسمي على الابواب والاوراق والقباب والخيام وآدم بين الروح والجسد، فلما أحياه الله تعالى نظر الى العرش فرأى اسمي فأخبره الله انه سيد ولدك ، فلما

غرهما الشيطان تابا واستشفعا باسمي اليه »

وروي ابو نعيم الحافظ في كتاب دلائل النبوة: ومن طريق الشيخ أبي الفرج حدثنا سليمان بن احمد ثنا احمد بن رشدين ثنا احمد بن سعيد الفهري ثنا عبدالله ابن اسماعيل المدني عن عبد الرحمن زيد بن اسلم عن ابيه عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ « لما أصاب آدم الخطيئة رفع رأسه فقال يارب بحق محمد إلا غفرت لي، فأوحى اليه وما محمد؟ ومن محمد؟ فقال: يارب إنك لما أتممت خلقي رفعت رأسي الى عرشك فاذا عليه مكتوب: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت انه أكرم خلقك عليك، إذ قرنت اسمه مع اسمك. فقال: نعم، قد غفرت لك وهو آخر الانبياء من ذريتك ولولاه ماخلقتك » فهذا الحديث يؤيد الذي قبله وهما كالتفسير للاحاديث الصحيحة (١)

وفي الصحيحين عن عائشة قالت « أول مابدىء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب اليه الخلاء، فكان يأتي غار حراء فيتحنث فيه ــ وهو التعبد ــ الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع الى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى فجأه الحق، وهو بحراء، فأتاه الملك فقال له: اقرأ. قال لست بقاريء. قال فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ. فقلت: لست بقاريء قال فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ. فقلت لست بقاريء، ثم أخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الانسان من علق) فرجع لها رسول الله ﷺ ترجف بوادره » الحديث بطوله، فقد اخبر في هذا الحديث الصحيح انه لم يكن قارئا، وهذه السورة أول ماأنزل

---

(١) يشير بقوله كالتفسير للاحاديث الصحيحة الى عدم صحتها وكونها ليسا بمعنى الاحاديث الصحيحة السابقة وانما يوافقانها من وجه واحد وهو كتابة المقادير قبل خلق ما جرت فيه من الخلق وغرضه منها تقوية الشواهد على علم الله بالاشياء وكتابته اياها قبل خلقها، وان ثبوتها في العلم غير ثبوتها في الوجود

الله عليه وبها صار نبيا، ثم انزل عليه سورة المدثر، وبها صار رسولا لقوله (قم فأنذر) ولهذا ذكر سبحانه في هذه السورة الوجود العيني والوجود العلمي. وهذا أمر بين يعقله الانسان بقلبه لايحتاج فيه الى سمع، فان الشيء لايكون قبل كونه. وأما كون الاشياء معلومة لله قبل كونها فهذا حق لا ريب فيه. وكذلك كونها مكتوبة عنده أو عند ملائكته، كما دل على ذلك الكتاب والسنة وجاءت به الآثار

وهذا العلم والكتاب هو القدر الذي ينكره غالية القدرية ويزعمون ان الله لايعلم افعال العباد إلا بعد وجودها وهم كفار، كفرهم الائمة كالشافعي واحمد وغيرهما

وقد بين الكتاب والسنة هذا القدر وأجاب النبي ﷺ عن السؤال الوارد عليه، وهو ترك العمل لاجله، فأجاب ﷺ عن ذلك، ففي الصحيحين عن علي بن ابي طالب قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا رسول الله ﷺ فقعد وقعدنا حوله، ومعه مخصرة[1] فجعل ينكت بمخصرته ثم قال «ما منكم من أحد -أو قال- مانفس منفوسة إلا قد كتب الله مكانها من الجنة والنار، وإلا قد كتب شقية أو سعيدة» قال فقال رجل: يارسول الله أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل، فمن كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل اهل الشقاوة؟ فقال «اعملوا فكل ميسر: أما أهل السعادة فييسرون لعمل اهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة — ثم قرأ (فأما من أعطى واتقى) الى آخر الآيات» وفي رواية: كان رسول الله ﷺ ذات يوم جالساً وفي يده عود ينكت به الارض فرفع رأسه فقال «ما منكم من نفس إلا وقد علم منزلها من الجنة والنار» قالوا يا رسول الله فلمَ نعمل؟ أفلا نتكل؟ قال «لا. اعملوا فكلٌ ميسرٌ لما خُلق له — ثم قرأ (فأما من أعطى) الآية»

وفي الصحيحين أيضاً عن عمران بن حصين قال: قيل يارسول الله، أعُلم أهل

---

(١) كمكنسة: مايتوكأ عليه كالعصا ونحوه وما يأخذه الملك يشير به اذا خاطب والخطيب اذا خطب

الجنة من اهل النار ؟ قال «نعم» قال فقيل: ففيم يعمل العاملون ؟ فقال « كل ميسر لما خُلق له» وفي رواية: ان رجلين من مزينة أتيا رسول الله ﷺ فقالا: يارسول الله، أرأيت مايعمل الناس اليوم ويكدحون فيه، أشيء قضي عليهم ومضى فيهم من قدَر قد سبق، أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم؟ فقال « لا. بل شيء قضي عليهم ومضى فيهم، وتصديق ذلك في كتاب الله (ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها)»

وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبدالله قال: جاء سراقة بن مالك بن جعشم قال: يارسول الله، بيّن لنا ديننا كأنا خُلقنا الآن، فيم العمل اليوم؟ أفيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير؟ أم فيما يستقبل؟ قال «لا. بل فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير» قال: ففيم العمل؟ قال «اعملوا فكل ميسر»

وفي صحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول « كتب الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة - قال: وعرشه على الماء »

وفي سنن أبي داود عن عبادة بن الصامت انه قال لابنه: يابني، انك لن تجد طعم حقيقة الايمان حتى تعلم ان ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك. سمعت رسول الله ﷺ يقول « ان أول ماخلق الله القلم فقال له: أكتب، قال: رب، ما أكتب؟ قال اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة » يا بني سمعت رسول الله ﷺ يقول « من مات على غير هذا فليس مني » ورواه الترمذي من وجه آخر عن الوليد بن عبادة انه قال: دعاني -يعني اباه- عند الموت فقال: يابني اتق الله، واعلم انك إن تتق الله تؤمن بالله وتؤمن بالقدر كله، خيره وشره، وان مت على غير هذا دخلت النار، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول « ان اول ماخلق الله القلم فقال اكتب، قال ما أكتب؟ قال اكتب القدر، ما كان وما هو كائن الى الابد »

وفي الترمذي أيضا عن ابي خزامة عن أبيه ان رجلا أتى النبي ﷺ فقال أرأيت رُقًى نسترقيها ودواء نتداوى به وتُقاة نتقيها، هل ترد من قضاء الله تعالى

شيئا ؟ قال «هي من قدر الله»

لكن انما ثبتت في التقدير المعدوم الممكن الذي سيكون ، فأما المعدوم الممكن الذي لا يكون فمثل إدخال المؤمنين النار وإقامة القيامة قبل وقتها ، وقلب الجبال يواقيت ونحو ذلك ، فهذا المعدوم ممكن وهو شيء ثابت في العدم عند من يقول المعدوم شيء ، ومع هذا فليس بمقدر كونه ، والله يعلمه على ما هو عليه ، يعلم انه ممكن وانه لا يكون ، وكذلك الممتنعات مثل شريك الباري وولده ، فان الله يعلم انه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد ، ويعلم انه ليس له شريك في الملك ولا ولي من الذل ويعلم انه حي قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ، ويعلم انه لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض . وهذه المعدومات الممتنعة ليست شيئاً باتفاق العقلاء مع ثبوتها في العلم ، فظهر انه قد ثبت في العلم ما لا يوجد وما يمتنع ان يوجد اذ العلم واسع ، فاذا توسع المتوسع وقال المعدوم شيء في العلم او موجود في العلم او ثابت في العلم فهذا صحيح ، أما انه في نفسه شيء فهذا باطل ، وبهذا تزول الشبهة الحاصلة في هذه المسئلة

والذي عليه اهل السنة والجماعة وعامة عقلاء بني آدم من جميع الاصناف: ان المعدوم ليس في نفسه شيئا وان ثبوته ووجوده وحصوله شيء واحد ، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة والاجماع القديم ، قال الله تعالى لزكريا (وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً) فأخبر انه لم يك شيئا . وقال تعالى (أولا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا) وقال تعالى (ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون) فأنكر عليهم اعتقاد ان يكونوا خلقوا من غير شيء خلقهم ام خلقوا هم انفسهم ، ولهذا قال جبير بن مطعم : لما سمعت رسول الله ﷺ قرأ هذه السورة احسست بفؤادي قد انصدع . ولو كان المعدوم شيئا لم يتم الانكار ، إذا جاز ان يقال ما خلقوا إلا من شيء ، لكن هو معدوم فيكون الخالق لهم شيئا معدوماً . وقال تعالى (فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً) ولو كان المعدوم شيئاً لكان التقدير : لا يظلمون موجوداً ولا معدوما ، والمعدوم لا يتصور ان يظلموه فانه ليس لهم

وأما قوله (ان زلزلة الساعة شيء عظيم) فهو إخبار عن الزلزلة الواقعة

أنها شيء عظيم ليس إخباراً عن الزلزلة في هذه الحال ولهذا قال (يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت) ولو أريد به الساعة لكان المراد بها شيء عظيم في العلم والتقدير

وقوله تعالي (انما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون)قد استدل به من قال المعدوم شيء وهو حجة عليه، لانه اخبر انه يريد الشيء وانه يكونه، وعندهم أنه ثابت في العدم وانما يراد وجوده لاعينه ونفسه . والقرآن قد اخبر ان نفسه تراد وتكوّن وهذا من فروع هذه المسئلة .

فان الذي عليه أهل السنة والجماعة وعامة العقلاء أن الماهيات مجعولة وأن ماهية كل شيء عين وجوده، وانه ليس وجود الشيء قدراً زائدا على ماهيته ، بل ليس في الخارج الا الشيء الذي هو الشيء وهو عينه ونفسه وماهيته وحقيقته، وليس وجوده وثبوته في الخارج زائدا على ذلك .

وأولئك يقولون الوجود قدر زائد على الماهية ويقولون الماهيات غير مجعولة، ويقولون وجود كل شيء زائد على ماهيته، ومن المتفلسفة من يفرق بين الوجود والواجب والممكن فيقول : الوجود الواجب عين الماهية . وأما الوجود الممكن فهو زائد على الماهية. وشبهة هؤلاء ماتقدم من أن الانسان قد يعلم ماهية الشيء ولا يعلم وجوده ، وأن الوجود مشترك بين الموجودات وماهية كل شيء مختصة به .

ومن تدبر تبين له حقيقة الامر فانا قد قدمنا الفرق بين الوجود العلمي والعيني. وهذا الفرق ثابت في الوجود والعين والثبوت والماهية وغير ذلك . فثبوت هذه الامور في العلم والكتاب والكلام ليس هو ثبوتها في الخارج عن ذلك(١) وهو ثبوت حقيقتها وماهيتها التي هي هي ، والانسان إذا تصور ماهية فقد علم وجودها الذهني، ولا يلزم من ذلك الوجود الحقيقي الخارجي. فقول القائل: قد تصورت حقيقة الشيء وعينه ونفسه وماهيته وماعلمت وجوده حصل وجوده العلمي ، وما حصل وجوده العيني الحقيقي ولم يعلم ماهيته الحقيقية ولا عينه الحقيقية ولا نفسه الحقيقية الخارجية فلا فرق بين لفظ وجوده ولفظ ماهيته الا أن أحد اللفظين قد يعبر به عن الذهني والآخر عن الخارجي فجاء الفرق من جهة المحل لا من جهة الماهية والوجود

(١) أي الخارج عن الامور الثلاثة المذكورة

واما قولهم : إن الوجود مشترك والحقيقة لا اشتراك فيها ـ فالقول فيه كذلك فان الوجود المعين الموجود في الخارج لا اشتراك فيه ، كما ان الحقيقة المعينة الموجودة في الخارج لا اشتراك فيها . وانما العلم يدرك الوجود المشترك كما يدرك الماهية المشتركة ، فالمشترك ثبوته في الذهن لا في الخارج ، وما في الخارج ليس فيه اشتراك ألبتة ، والذهن ان ادرك الماهية المعينة الموجودة في الخارج لم يكن فيها اشتراك وانما الاشتراك فيما يدركه من الامور المطلقة العامة وليس في الخارج شيء مطلق عام بوصف بالاطلاق والعموم ؟ وانما فيه المطلق لا بشرط الاطلاق وذلك لا يوجد في الخارج الا معينا ، فينبغي للعاقل ان يفرق بين ثبوت الشيء ووجوده في نفسه ، وبين ثبوته ووجوده في العلم ، فان ذاك هو الوجود العيني الخارجي الحقيقي ، وأما هذا فيقال له الوجود الذهني والعلمي . وما من شيء الا له هذان الثبوتان والعلم يعبر عنه باللفظ ويكتب اللفظ بالخط فيصير لكل شيء اربعة مراتب : وجود في الاعيان ، ووجود في الاذهان ، ووجود في اللسان ، ووجود في البنان ، وجود عيني ، وعلمي ، ولفظي ، ورسمي

ولهذا كان أول ما أنزل الله على نبيه سورة (اقرأ باسم ربك الذي خلق) ذكر فيها النوعين فقال (اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الانسان من علق) فذكر جميع المخلوقات بوجودها العيني عموما ثم خصوصا ، فخص الانسان بالخلق بعد ماعم غيره ، ثم قال (اقرأ وربك الاكرم * الذي علم بالقلم * علم الانسان مالم يعلم) فخص التعليم للانسان بعد تعميم التعليم بالقلم ، وذكر القلم لان التعليم بالقلم هو الخط وهو مستلزم لتعليم اللفظ ، فان الخط يطابقه ، وتعليم اللفظ هو البيان وهو مستلزم لتعليم العلم ، لان العبارة تطابق المعنى ، فصار تعليمه بالقلم مستلزما للمراتب الثلاث : اللفظي ، والعلمي ، والرسمي ، بخلاف مالو اطلق التعليم او ذكر تعليم العلم فقط لم يكن ذلك مستوعبا للمراتب ،

فذكر في هذه السورة الوجود العيني والعلمي وان الله سبحانه هو معطيهما فهو خالق الخلق وخالق الانسان ، وهو المعلم بالقلم ومعلم الانسان

فاما اثبات وجود الشيء في الخارج قبل وجوده فهذا أمر معلوم الفساد بالعقل والسمع وهو مخالف للكتاب والسنة والاجماع .

فصل

الاصل الثانى لمذهب ابن عربى

هذا أحد أصلي ابن عربي . واما الاصل الآخر فقولهم ان وجود الاعيان نفس وجود الحق وعينه . وهذا انفردوا به عن جميع مثبتة الصانع من المسلمين واليهود والنصارى والمجوس والمشركين، وانما هو حقيقه قول فرعون والقرامطة المنكرين لوجود الصانع كما سنبينه ان شاء الله

فمن فهم هذا فهم جميع كلام ابن عربي نظمه ونثره (١) وما يدعيه من ان الحق يغتذي بالخلق، لان وجود الاعيان معتمد بالأعيان الثابتة في العدم، ولهذا يقول بالجمع من حيث الوجود ،وبالفرق من حيث الماهية والاعيان ، ويزعم ان هذا هو سر القدر، لان الماهيات لاتقبل الا ماهو ثابت لها في العدم في انفسها، فهى التي احسنت واساءت، وحمدت وذمت، والحق لم يعطها شيئا الا ما كانت عليه في حال العدم

فتدبر كلامه كيف انتظم شيئين: انكار وجود الحق، وانكار خلقه لمخلوقاته، فهو منكر للرب الذي خلق فلا يقر برب ولا بخلق ،ومنكر لرب العالمين ، فلا رب ولا عالمون مربوبون ،اذ ليس الا اعيان ثابتة ووجود قائم بها، فلا الاعيان مربوبة ولا الوجود مربوب، ولا الاعيان مخلوقة ولا الوجود مخلوق . وهذا يفرق بين المظاهر والظاهر والمجلي والمتجلي، لان المظاهر عنده هي الاعيان الثابتة في العدم، واما الظاهر فهو وجود الخلق

---

(١) هذا بمعنى قول شيخنا ان لكلام ابن عربي مفتاحا من عرفه فهم جميع كلامه فانا أقرأ الفتوحات كما أقرأ تاريخ ابن الاثير . وقال أيضاً: انما أبهم هؤلاء الصوفية مذهبهم بالاصطلاحات التي تشبه الالغاز تقية وهربا من تكفير الجمهور لهم

فصل

واما صاحبه الصدر الفخر الرومي فانه لايقول ان الوجود زائد على الماهية،فانه كان ادخل في النظر والكلام من شيخه،لكنها كفرو اقل علما وايمانا، واقل معرفة بالاسلام وكلام المشايخ .ولما كان مذهبهم كفرا كان كل من حذق فيه كان اكفر،فلما رأى ان التفريق بين وجود الاشياء واعيانها لايستقيم وعنده ان الله هو الوجود ولابد من فرق بين هذا وهذا ،فرق بين المطلق والمعين،فعنده ان الله هو الوجود المطلق الذي لايتعين ولا يتميز ،وانه اذا تعين وتميز فهو الحق سواء تعين في مرتبة الالهية او غيرها . وهذا القول قد صرح فيه بالكفر أ كثر من الاول ، وهو حقيقة مذهب فرعون والقرامطة، وإن كان الاول أفسد من جهة تفرقته بين وجود الاشياء وثبوتها ، وذلك انه على القول لاول يمكن أن يجعل للحق وجودا خارجا عن اعيان الممكنات ،وأنه فاض عليها فيكون فيه اعتراف بوجود الرب القائم بنفسه الغني عن خلقه ، وان كان فيه كفر من جهة انه جعل المخلوق هو الخالق ، والمربوب هو الرب، بل لم يثبت خلقا أصلا ومع هذا فما رأيته صرح بوجود الرب متميزا عن الوجود القائم بأعيان الممكنات

وأما هذا فقد صرح بانه ماثم سوى الوجود المطلق الساري في الموجودات المعينة . والمطلق ليس له وجود مطلق،فما في الخارج جسم مطلق بشرط الاطلاق، ولا انسان مطلق ولا حيوان مطلق بشرط الاطلاق، بل لا يوجد إلا في شيء معين والحقائق لها ثلاث اعتبارات : اعتبار العموم،والخصوص،والاطلاق، فاذا قلنا: حيوان عام او انسان عام، أو جسم عام، ووجود عام،فهذا لايكون إلا في العلم واللسان، وأما الخارج عن ذلك فما ثم شيء موجود في الخارج يعم شيئين ، ولهذا كان العموم من عوارض صفات الحي فيقال : علم عام ، وارادة عامة ، وغضب عام ، وخبر عام، وأمر عام، ويوصف صاحب الصفة بالعموم أيضا كما في الحديث الذي

في سنن ابي داود ان النبي ﷺ مر بعلي وهو يدعو فقال « ياعلي عُمّ ، فان فضل العموم على الخصوص كفضل السماء على الارض » وفي الحديث انه لما نزل قوله (وأنذر عشيرتك الاقربين) عم وخص . رواه مسلم من حديث موسى بن طلحة عن ابي هريرة ، وتوصف الصفة بالعموم كما في حديث التشهد « السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فاذا قلتم ذلك فقد أصابت كل عبد صالح لله في السماء والارض »

وأما اطلاق من أطلق ان العموم من عوارض الالفاظ فقط ، فليس كذلك إذ معاني الالفاظ القائمة بالقلب أحق بالعموم من الالفاظ . وسائر الصفات: الارادة والحب والبغض والغضب والرضا، يعرض لها من العموم والخصوص ما يعرض للقول ، وانما المعاني الخارجة عن الذهن هي الموجودة في الخارج، كقولهم : مطر عام وخصب عام . هذه التى تنازع الناس: هل وصفها بالعموم حقيقة او مجاز ؟ على قولين (أحدهما) مجاز لان كل جزء من أجزاء المطر والخصب لا يقع الا حيث يقع الآخر فليس هناك عموم ، وقيل بل حقيقة لان المطر المطلق قد عم.

وأما الخصوص فيعرض لها إذا كانت موجودة في الخارج ، فان كل شيء له ذات وعين تختص به ويمتاز بها عن غيره ، أعني الحقيقة العينية الشخصية التي لا اشتراك فيها، مثل : هذا الرجل وهذه الحبة وهذا الدرهم ، وما عرض لها في الخارج فانه يعرض لما في الذهن . فان تصور الذهنية أوسع من الحقائق الخارجية فانها تشمل الموجود والمعدوم والممتنع والمقدرات

وأما الاطلاق فيعرض لها إذا كانت في الذهن بلا ريب فان العقل يتصور انسانا مطلقا ووجوداً مطلقا . واما في الخارج فهل يتصور شيء مطلق ؟ هذا فيه قولان، قيل: المطلق له وجود في الخارج فانه جزء من المعين ، وقيل لا وجود له في الخارج ، اذ ليس في الخارج إلا معين مقيد ، والمطلق الذي يشترك فيه العدد لا يكون جزءا من المعين الذي لا يشركه فيه

والتحقيق ان المطلق بلا شرط أصلا يدخل فيه المقيد المعين، وأما المطلق بشرط الاطلاق فلا يدخل فيه المعين المقيد، وهذا كما يقول الفقهاء : الماء المطلق، فانه بشرط الاطلاق فلا يدخل فيه المضاف. فاذا قلنا : الماء ينقسم الى ثلاثة أقسام : طهور، وطاهر ونجس ، فالثلاثة أقسام الماء . الطهور هو الماء المطلق الذي لا يدخل ما ليس بطهور كالمصارات والمياه النجسة . فالماء المقسوم هو المطلق لا بشرط، والماء الذي هو قسيم للمائين هو المطلق بشرط الاطلاق .

لكن هذا الاطلاق والتقييد الذي قاله الفقهاء في اسم الماء انما هو في الاطلاق والتقييد اللفظي وهو ما دخل في اللفظ المطلق كلفظ ماء ، او في اللفظ المقيد كلفظ ماء نجس ، اوماء ورد .

وأما ما كان كلامنا فيه أولا فانه الاطلاق والتقييد في معاني اللفظ ، فنفرق بين النوعين. فان الناس يغلطون لعدم التفريق بين هذين غلطا كثيراً جداً ، وذلك ان كل اسم فاما أن يكون مسماه معينا لا يقبل الشركة كأنا وهذا وزيد ، ويقال له المعين والجزء ، واما أن يقبل الشركة فهذا الذي يقبل الشركة هو المعنى الكلي المطلق وله ثلاث اعتبارات كما تقدم

وأما اللفظ المطلق والمقيد فمثال تحرير رقبة ، ولم تجدوا ماء ، وذلك ان المعنى قد يدخل في مطلق اللفظ ، ولا يدخل في اللفظ المطلق ، اي يدخل في اللفظ لا بشرط الاطلاق ، ولا يدخل في اللفظ بشرط الاطلاق، كما قلنا في لفظ الماء ، وان الماء يقال على المني وغيره كما قال (من ماء دافق) ويقال : ماء الورد ، لكن هذا لا يدخل في الماء عند الاطلاق لكن عند التقييد . فاذا أخذ القدر المشترك بين لفظ الماء المطلق ولفظ الماء المقيد فهو المطلق بلا شرط الاطلاق ، فيقال : الماء ينقسم الى مطلق ومضاف ، ومورد التقسيم ليس له اسم مطلق لكن بالقرينة يقتضي الشمول والعموم ، وهو قولنا الماء ثلاثة أقسام . فهنا أيضا

ثلاثة أشياء : مورد التقسيم وهو الماء العام وهو المطلق بلا شرط ، لكن ليس له لفظ مفرد إلا لفظ مؤلف ، والقسم المطلق وهو اللفظ بشرط اطلاقه ، والثاني المقيد وهو اللفظ بشرط تقييده

وانما كان كذلك لان المتكلم باللفظ إما أن يطلقه أو يقيده، ليس له حال ثالثة ، فاذا أطلقه كان له مفهوم واذا قيده كان له مفهوم ، ثم اذا قيده إما أن يقيده بقيد العموم أو بقيد الخصوص . فقيد العموم كقوله : الماء ثلاثة أقسام ، وقيد الخصوص كقوله :ماء الورد

واذا عرف الفرق بين تقييد اللفظ واطلاقه وبين تقييد المعنى واطلاقه عرف ان المعنى له ثلاثة أحوال : إما أن يكون أيضاً مطلقا، أو مقيداً بقيد العموم، أو مقيداً بقيد الخصوص ، والمطلق من المعاني نوعان : مطلق بشرط الاطلاق ، ومطلق لا بشرط ، وكذلك الالفاظ المطلق منها قد يكون مطلقا بشرط الاطلاق كقولنا الماء المطلق والرقبة المطلقة ، وقد يكون مطلقا لا بشرط الاطلاق، كقولنا انسان ،

فالمطلق المقيد بالاطلاق لايدخل فيه المقيد بما ينافي الاطلاق، فلا يدخل ماء الورد في الماء المطلق . وأما المطلق لا بقيد فيدخل فيه المقيد كما يدخل الانسان الناقص في اسم الانسان

فقد تبين ان المطلق بشرط الاطلاق من المعاني ليس له وجود في الخارج ، فليس في الخارج انسان مطلق، بل لا بد أن يتميز بهذا أو ذاك، وليس فيه حيوان مطلق، وليس فيه مطر مطلق بشرط الاطلاق .

وأما المطلق بشرط الاطلاق من الالفاظ كالماء المطلق فمسماه موجود في الخارج لان شرط الاطلاق هنا في اللفظ فلا يمنع أن يكون معناه معينا ، وبشرط الاطلاق هناك في المعنى، والمسمى المطلق بشرط الاطلاق لا يتصور إذ لكل موجود حقيقة يتميز بها ، وما لا حقيقة له يتميز بها ليس بشيء ، واذا كان له

حقيقة يتميز بها فتميزه يمنع أن يكون مطلقا من كل وجه ، فان المطلق من كل وجه لا تمييز له ، فليس لنا موجود هو مطلق بشرط الاطلاق ولكن العدم المحض قد يقال هو مطلق بشرط الاطلاق إذ ليس هناك حقيقة تتميز ولا ذات تتحقق حتي يقال تلك الحقيقة تمنع غيرها بحدها أن تكون إياها ، وأما المطلق من المعاني لا بشرط فهذا اذا قيل بوجوده في الخارج فانما يوجد معينا متميزاً مخصوصاً ، والمعين المخصوص يدخل في المطلق لا بشرط ولا يدخل في المطلق بشرط الاطلاق، إذ المطلق لا بشرط أعم، ولا يلزم اذا كان المطلق بلاشرط موجوداً في الخارج أن يكون المطلق المشروط بالاطلاق موجوداً في الخارج لان هذا أخص منه ، فاذا قلنا: حيوان، أو انسان، أو جسم، أو وجود مطلق، فان عنينا به المطلق بشرط الاطلاق فلا وجود له في الخارج ، وإن عنينا المطلق لا بشرط فلا يوجد إلا معينا مخصوصاً، فليس في الخارج شيء إلا معين متميز منفصل عما سواه بحده وحقيقته ،

فمن قال: ان وجود الحق هو الوجود المطلق دون المعين فحقيقة قوله انه ليس للحق وجود أصلا ولا ثبوت إلا نفس الاشياء المعينة المتميزة ، والاشياء المعينة ليست إياه فليس شيئا أصلا .

وتلخيص النكتة انه لو عني به المطلق بشرط الاطلاق فلا وجود له في الخارج فلا يكون للحق وجود أصلا ، وإن عني به المطلق بلاشرط ، فان قيل بعدم وجوده في الخارج فلا كلام، وإن قيل بوجوده فلا يوجد إلا معينا فلا يكون للحق وجود إلا وجود الاعيان. فيلزم محذوران (احدهما) انه ليس للحق وجود سوى وجود المخلوقات (والثاني) التناقض وهو قوله انه الوجود المطلق دون المعين .

فتدبر قول هذا فانه يجعل الحق في الكائنات بمنزلة الكلي في جزئياته وبمنزلة الجنس والنوع والخاصة والفصل في سائر أعيانه الموجودة الثابتة في العدم . وصاحب هذا القول يجعل المظاهر والمراتب في المتعينات كما جعله الاول في الاعيان.

فصل

وأما التلمساني ونحوه فلا يفرق بين ماهية ووجود ولا بين مطلق ومعين، بل عنده ماثم سوى، ولا غير بوجه من الوجوه، وانما الكائنات أجزاء منه وابعاض له بمنزلة أمواج البحر في البحر، وآخر البيت من البيت، فمن شعرهم :

البحر لاشك عندي في توحده وإن تعدد بالامواج والزبد
فلا يغرنك ماشاهدت من صور فالواحد الرب ساري العين في العدد

ومنه :

فما البحر إلا الموج لاشيء غيره وإن فرقته كثرة المتعدد

ولا ريب ان هذا القول هو أحذق في الكفر والزندقة، فان التمييز بين الوجود والماهية، وجعل المعدوم شيئا أو التمييز في الخارج بين المطلق والمعين وجعل المطلق شيئا وراء المعينات في الذهن قولان ضعيفان باطلان، وقد عرف من حدد النظر ان من جعل في هذه الامور الموجودة في الخارج شيئين (أحدهما) وجودها (والثاني) ذواتها، أو جعل لها حقيقة مطلقة موجودة زائدة على عينها الموجودة فقد غلط غلطا قويا، واشتبه عليه مايأخذه من العقل من المعاني المجردة المطلقة عن التعيين، ومن الماهيات المجردة عن الوجود الخارجي بما هو موجود في الخارج من ذلك، ولم يدر ان متصورات العقل ومقدراته أوسع مما هو موجود حاصل بذاته، كما يتصور المعدومات والممتنعات والمشروطات، ويقدر مالا وجود له ألبتة مما يمكن أو لا يمكن، ويأخذ من المعينات صفات مطلقة فيه. فان الموجودات ذوات متصورة فيه، لكن هذا القول أشد جهلا وكفراً بالله تعالى، فان صاحبه لايفرق بين المظاهر والظاهر، ولا يجعل الكثرة والتفرقة إلا في ذهن الانسان لما كان محجوبا عن شهود الحقيقة، فلما انكشف غطاؤه عاين انه لم يكن غير، وان الرائي عين المرئي والشاهد عين المشهود

فصل

واعلم ان هذه المقالات لا أعرفها لأحد من أمة قبل هؤلاء على هذا الوجه، ولكن رأيت في بعض كتب الفلسفة المنقولة عن أرسطو انه حكى عن بعض الفلاسفة قوله : ان الوجود واحد ورد ذلك، وحسبك بمذهب لا يرضاه متكلمة الصابئين

وانما حدثت هذه المقالات بحدوث دولة التتار، وانما كان الكفر الحلول العام أو الاتحاد أو الحلول الخاص. وذلك ان القسمة رباعية لان من جعل الرب هو العبد حقيقة، فاما أن يقول بحلوله فيه أو اتحاده به ، وعلى التقديرين فاما أن يجعل ذلك مختصاً ببعض الخلق كالمسيح أو يجعله عاما لجميع الخلق . فهذه أربعة أقسام :

(الاول) هو الحلول الخاص وهو قول النسطورية من النصارى ونحوهم ممن يقول: ان اللاهوت حل في الناسوت وتدرع به كحلول الماء في الاناء، وهؤلاء حققوا كفر النصارى بسبب مخالطتهم للمسلمين ، وكان أولهم في زمن المأمون . وهذا قول من وافق هؤلاء النصارى من غالية هذه الامة، كغالية الرافضة الذين يقولون انه حل بعلي بن أبي طالب وائمة أهل بيته ، وغالية النساك الذين يقولون بالحلول في الاولياء ومن يعتقدون فيه الولاية، أو في بعضهم كالحلاج ويونس والحاكم ونحو هؤلاء

(والثاني) هو الاتحاد الخاص وهو قول يعقوبية النصارى وهم أخبث قولا وهم السودان والقبط ، يقولون ان اللاهوت والناسوت اختلطا وامتزجا كاختلاط اللبن بالماء، وهو قول من وافق هؤلاء من غالية المنتسبين الى الاسلام

(والثالث) هو الحلول العام، وهو القول الذي ذكره أئمة أهل السنة والحديث عن طائفة من الجهمية المتقدمين، وهو قول غالب متعبدة الجهمية الذين يقولون ان الله بذاته في كل مكان ويتمسكون بمتشابه القرآن كقوله (وهو الله في السموات وفي الارض) وقوله (وهو معكم) والرد على هؤلاء كثير مشهور في كلام أئمة السنة واهل المعرفة وعلماء الحديث

(الرابع) الاتحاد العام وهو قول هؤلاء الملاحدة الذين يزعمون انه عين وجود الكائنات، وهؤلاء أكفر من اليهود والنصارى من وجهين: من جهة ان أولئك قالوا ان الرب يتحد بعبده الذي قربه واصطفاه بعد أن لم يكونا متحدين، وهؤلاء يقولون ما زال الرب هو العبد وغيره من المخلوقات ليس هو غيره (والثاني) من جهة أن أولئك خصوا ذلك بمن عظموه كالمسيح وهؤلاء جعلوا ذلك ساريا في الكلاب والخنازير والقذر والاوساخ، واذا كان الله تعالى قال (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم) الآية. فكيف بمن قال ان الله هو الكفار والمنافون والصبيان والمجانين والأنجاس والانتان وكل شيء؟ واذا كان الله قد رد قول اليهود والنصارى لما قالوا (نحن أبناء الله وأحباؤه) وقال لهم (قل فلم يعذبكم بذنوبكم؟ بل أنتم بشر ممن خلق) الآية. فكيف بمن يزعم ان اليهود والنصارى هم أعيان وجود الرب الخالق ليسوا غيره ولا سواه؟ ولا يتصور أن يعذب إلا نفسه؟ وأن كل ناطق في الكون فهو عين السامع؟ كما في قوله ﷺ «ان الله تجاوز لأمتي عما حدثت بها أنفسها» وان الناكح عين المنكوح، حتى قال شاعرهم[1]

واعلم ان هؤلاء لما كان كفرهم في قولهم: ان الله هو مخلوقاته كلها أعظم من كفر النصارى بقولهم (ان الله هو المسيح بن مريم) فكان النصارى ضلال أكثرهم لا يعقلون مذهبهم في التوحيد إذ هو شيء متخيل لا يعلم ولا يعقل، حيث يجعلون الرب جوهراً واحداً ثم يجعلونه ثلاثة جواهر، ويتأولون ذلك بتعدد الخواص والاشخاص التي هي الاقانيم، والخواص عندهم ليست جواهر، فيتناقضون مع كفرهم، كذلك هؤلاء الملاحدة الاتحادية ضلال أكثرهم لا يعقلون قول رءوسهم ولا يفقهونه، وهم في ذلك كالنصارى، كلما كان الشيخ أحمق واجهل، كان بالله أعرف، وعندهم أعظم، ولهم حظ من عبادة الرب الذي كفروا به كما للنصارى. هذا مادام أحدهم

(١) سقط من الاصل هذا الشعر وقد يعرف مما سبق من أشعارهم

في الحجاب، فاذا ارتفع عن قلبه وعرف انه هو فهو بالخيار بين أن يسقط عن نفسه الامر والنهي ويبقى سدى يفعل ما أحب، وبين أن يقوم بمرتبة الامر والنهي لحفظ المراتب، وليقتدي به الناس المحجوبون، وهم غالب الخلق. ويزعمون ان الانبياء كانوا كذلك اذ عدوهم كاملين.

فصل

مذهب هؤلاء الاتحادية كابن عربي وابن سبعين والقونوي والتلمساني مركب من ثلاثة مواد: سلب الجهمية وتعطيلهم، ومجملات الصوفية: وهو ما وجد في كلام بعضهم من الكلمات المجملة المتشابهة، كما ضلت النصارى بمثل ذلك فيما يروونه عن المسيح فيتبعون المتشابه ويتركون المحكم. وأيضا كلمات المغلوبين على عقلهم الذين تكلموا في حال سكر، ومن الزندقة الفلسفية التي هي أصل التجهم، وكلامهم في الوجود المطلق والعقول والنفوس والوحي والنبوة والوجوب والامكان، وما في ذلك من حق وباطل. فهذه المادة أغلب على ابن سبعين والقونوي، والثانية أغلب على ابن عربي، ولهذا هو أقربهم إلى الاسلام، والكل مشتركون في التجهم. والتلمساني أعظمهم تحقيقا لهذه الزندقة والاتحاد التي انفردوا بها، وأكفرهم بالله وكتبه ورسله وشرائعه واليوم الآخر

وبيان ذلك انه قال: هو في كان متجل بوحدته الذاتية، عالما بنفسه وبما يصدر عنه، وأن المعلومات باسرها كانت منكشفة في حقيقة العلم شاهدا لها.

فيقال له: قد اثبت علمه بما يصدر منه وبمعلومات يشهدها غير نفسه، ثم ذكرت أنه عرض نفسه على هذه الحقائق الكونية المشهودة المعدومة، فعند ذلك عبر «بأنا» وظهرت حقيقة النبوة التي ظهر فيها الحق واضحا، وانعكس فيها الوجود المطلق، وانه هو المسمى باسم الرحمن كما أن الاول هو المسمى باسم الله، وسقت الكلام.

الى ان قلت : وهو الان على ماعليه كان فهذا الذي علم انه يصدر عنه وكان مشهودا له معدوما في نفسه هو الحق او غيره ؟ فان كان الحق ؟ فقد لزم ان يكون الرب كان معدوما وان يكون صادرا عن نفسه ، ثم انه تناقض . ولئن كان غيره ، فقد جعلت ذلك الغير هو مرآة لانعكاس الوجود المطلق ، وهو الرحمن ، فيكون الخلق هو الرحمن ، فأنت حائر بين ان تجعله قد علم معدوما صدر عنه ، فيكون له غير وليس هو الرحمن ، وبين ان تجعل هذا الظاهر الواصف هو اياه وهو الرحمن ، فلا يكون معدوما ولا صادرا عنه ، واما ان تصف الشيء بخصائص الحق الخالق تاره وبخصائص العبد المخلوق تارة ، فهذا مع تناقضه كفر من اغاظ الكفر ، وهو نظير قول النصارى اللاهوت الناسوت . لكن هذا اكفر من وجوه متعددة

فصل

(الوجه الاول) ان هذه الحقائق الكونية التي ذكرت انها كانت معدومة في نفسها مشهودة اعيانها في علمه في تجليه المطلق الذي كان فيه متحداً بنفسه بوحدته الذاتية ، هل خلقها وبرأها وجعلها موجودة بعد عدمها ام لم تزل معدومة ؟ فان كانت لم تزل معدومة فيجب ان لا يكون شيء من الكونيات موجوداً ، وهذا مكابرة للحس والعقل والشرع ، ولا يقوله عاقل ، ولم يقله عاقل . وان كانت صادرة موجودة بعد عدمها امتنع ان تكون هي إياه ، لان الله لم يكن معدوماً فيوجد . وهذا يبطل الاتحاد ، ووجب حينئذ ان يكون(١) به موجوداً ليس هو الله ، بل هو خلقه ومماليكه وعبيده . وهذا يبطل قولك ! وهو الآن لا شيء معا(٢) على ماعليه كان

(الثاني) ان قولك تركبت الخلقة الالهية من كان الى سر شأنه ، او قولك: ظهر

---

(١) كذا في الاصل ولعله : ان يكون ما صار به المعدوم موجوداً الخ

(٢) كذا في الاصل

الحق فيه ، او نحو ذلك من الالفاظ التي يطلقها هؤلاء الاتحادية في هذا الموضع مثل قولهم: ظهر الحق، وتجلى، وهذه مظاهر الحق ومجاليه ؛ وهذا مظهر الهي ومجلى الهي ، ونحو ذلك.ـ اتعني به أن عين ذاته حصلت هناك ؟ او تعني به انه صار ظاهراً متجليا لها بحيث تعلمه ؟ او تعني به أن ظهر لخلقه بها وتجلى بها وأنه مانم قسم رابع ؟

فان عنيت الاول ـ وهو قول الاتحادية ـ فقد صرحت بان عين المخلوقات حتى الكلاب والخنازير والنجاسات والشياطين والكفار هى ذات الله ، اوهى وذات الله متحدتان ، أو ذات الله حالة فيها ، وهذا الكفر اعظم من كفر الذين قالوا (ان الله هو المسيح بن مريم * وإن الله هو ثالث ثلاثة) وان الله يلد ويولد. وان له بنين وبنات . واذا صرحت بهذا عرف المسلمون قولك فألحقوك ببني جنسك(١) فلا حاجة الى الفاظ مجملة يحسبها الظمآن ماء . وياليته إذا جاءها لم يجدها شيئا ، بل يجدها سما ناقعا ،

وان عنيت أنه صار ظاهراً متجليا لها، فهذا حقيقة أمر صار معلوما لها: ولاريب إن الله يصير معروفا لعبده . لكن كلامك في هذا باطل من وجهين : من جهة انك جعلته معلوما للمعدومات التي لاوجود لها لكونه قد علمها ، واعتقدت انها إذا كانت معلومة يجوز أن تصير عالمة، وهذا عين الباطل: من جهة أنه إذا علم أن الشيء سيكون لم يجز أن يكون هذا قبل وجوده عالما قادراً فاعلا . ومن جهة ان هذا ليس حكم جميع الكائنات المعلومة ، بل بعضها هو الذي يصح منه العلم

وأما إن قلت ان الله يعلم بها لكونها آيات دالة عليه ، فهذا حق، وهو دين المسلمين

---

(١) بهذا صرح شيخ الاسلام ان غرضه من هذه الالزامات الباطلة بيان خروجهم بها عن دائرة الاسلام الذي يلبسون بادعائهم اياه على المسلمين بأنهم من أوليائه العارفين . وليس غرضه انه ألزمهم ما يلتزمونه ولا يعتقدونه

وشهود العارفين ، لكنك لم تقل هذا لوجهين (احدهما) انها لا تصير آيات الا بعد أن يخلقها ويجعلها موجودة ، لا في حال كونها معدومة معلومة ، وانت لم تثبت انه خلقها ولا جعلها موجودة ، ولا أنه أعطى شيئا خلقه ، بل جعلت نفسه هو هي المتجلية له

(الوجه الثاني) انك قد صرحت بانه تجلى لها وظهر لها ، لا انه دل بها خلقه وجعلها آيات تكون تبصرة وذكرى لكل عبد منيب . والله قد اخبر في كتابه انه يجعل في هذه المصنوعات آيات ، والآية مثل العلامة والدلالة كما قال (والهكم اله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم. الى قوله. لآيات لقوم يعقلون) وتارة يسميها نفسها آية كما قال تعالى (وآية لهم الأرض الميتة احييناها) وهذا الذي ذكره الله في كتابه هو الحق.

فاذا قيل في نظير ذلك : تجلى بها وظهر بها كما يقال علم وعرف بها ، كان المعنى صحيحا لكن لفظ التجلي والظهور في مثل هذا الموضع غير مأثور . وفيه ايهام واجمال . فان الظهور والتجلي يفهم منه الظهور والتجلي للعين لاسيما لفظ التجلي وان استعماله في التجلي للعين هو الغالب . وهذا مذهب الاتحادية ، صرح به ابن عربي وقال: فلا تقع العين الا عليه (١)

واذا كان عندهم أن المرئي بالعين هو الله فهذا كفر صريح باتفاق المسلمين . بل قد ثبت في صحيح مسلم ان النبي ﷺ قال « واعلموا ان أحداً منكم لن يرى ربه حتى يموت » ولاسيما اذا قيل : ظهر فيها وتجلى ، فان اللفظ يصير مشتركا بين ان تكون ذاته فيها أو تكون قد صارت بمنزلة المرآة التي يظهر فيها مثال المرئي ، وكلاهما باطل . فان ذات الله ليست في المخلوقات ، ولا في نفس ذاته ترى المخلوقات كما يرى المرئي في المرآة ، ولكن ظهورها دلالتها عليه وشهادتها له ، وانها آيات له على نفسه وصفاته سبحانه وبحمده ، كما نطق بذلك كتاب الله

(١) بياض في الاصل

(الوجه الثالث) ان مقارنة الالف والنون المعبر عنها «بأنا» واللفظه التي هي «حقيقة النبوة» و «الروح الاضافي» هذه الاشياء داخلة في مسمى اسمائه الظاهرة والمضمرة ام ليست داخلة في مسمى اسمائه؟ فان كان الاول فتكون جميع المخلوقات داخلة في مسمى اسماء الله، وتكون المخلوقات جزءاً من الله وصفة له، وان كان الثاني فهذه الاشياء معدومة ليس لها وجود في أنفسها ، فكيف يتصور أن تكون موجودة لا موجودة، ثابتة لا ثابتة، منتفية لا منتفية ؟ وهذا القسم بين ، وهو أحد ما يكشف حقيقة هذا التلبيس

فان هذه الامور التي كانت معلومة له معدومة عند نزول الخلية ظهرت هذه الامور التي ذكرها ، فهذه الامور الظاهرة المعلومة بعد هذا النزول قد صارت « أنا » وحقيقة نبوة، وروحا إضافيا ، وفعل ذات، ومفعول ذات، ومعنى وسائط، فان كان جميع ذلك في الله ، ففيه كفران عظيمان : كون جميع المخلوقات جزءا من الله، وكونه متغيرا هذه التغيرات التي هي من نقص الى كمال ومن كمال الى نقص ، وان كانت خارجة من ذاته فهذه الاشياء كانت معدومة ، ولم يخلقها عندهم خارجة عنه، فكيف يكون الحال؟

(الوجه الرابع) ان عنده حقيقة النبوة وما معها إما أن يكون شيئا قائما بنفسه، أوصفة له أو لغيره، فان كان قائما بنفسه فاما ان يكون هو الله أو غيره ، فان كان ذلك هو الله فيكون الله هو النقطة الظاهرة ، وهو حقيقة النبوة ، وهو الروح الاضافي ، وقد قال بعد هذا : انه جعل الروح الاضافي في صورة فعل ذاته ، وانه أعطى محمداً عقدة نبوته ، فيكون قد جعل نفسه صورة فعله واعطي محمداً ذاته ، وهذا مع انه من أبين الكفر وأقبحه فهو متناقض ، فمن المعطي ومن المعطى ؟ إذا كان أعطى ذاته لغيره ، وإن كانت هذه الاشياء أعيانا قائمة بنفسها وهي غير الله فسواء كانت ملائكة أوغيرها من كل ما سوى الله من الاعيان فهو خلق من خلق الله

مصنوع مربوب ، والله خالق كل شيء ، فهو قد جعل ظهور الحق وصفا ، وانه المسمى باسم الرحمن ، فيكون المسمى باسم الرحمن الواصف لنفسه مخلوقا ، وهذا كفر صريح وهو أعظم من إلحاد الذين (قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن؟) ومن إلحاد الذين قيل فيهم (وهم يكفرون بالرحمن) فان اولئك كفروا باسمه وصفته مع اقرارهم برب العالمين ، وهؤلاء أقروا بالاسم وجعلوا المسمى مخلوقا من مخلوقاته ،

واما ان كان المراد بهذه الحقيقة ومامعها صفة فاما أن تكون صفة لله أو لغيره ، فان كانت صفة لله لم يجز ان تكون هي المسمى باسم الرحمن ، فان ذلك اسم لنفس الله لا لصفاته ، والسجود لله لا لصفاته ، والدعاء لله لا لصفاته ، وان كانت صفة لغيره فهذا الالزام أعظم وأعظم

وهذا تقسيم لا محيص عنه ، فان هذا الملحد في اسماء الله جعل هذه العقدة التي سماها (عقدة حقيقة النبوة) وجعلها صورة علم الحق بنفسه ، وجعلها مرآة لانعكاس الوجود المطلق، محلا لتميز صفاته القديمة (١) وان الحق ظهر فيه بصورته وصفته واصفا يصف نفسه ويحيط به ، وهو المسمى باسم الرحمن ، ثم ذكر انه أعطى محمداً هذه العقدة ، ومعلوم أن المسمى باسم الرحمن هو المسمى باسم الله كما قال تعالى (ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى) فيكون هو سبحانه هذه العقدة التي أعطاها لمحمد ، وان كانت صفة له أو غيره فتكون هي الرحمن، فهذا الملحد دائر بين أن يكون الرحمن هو خلق من خلق الله أو صفة من صفاته ، وبين أن يكون الرحمن قد وهبه الله لمحمد ، وكل من القسمين من أسمج الكفر وأشنعه

(الوجه الخامس) أن قوله لهذه الحقيقه طرفان : طرف الى الحق المواجه اليها الذي ظهر فيه الوجود الاعلى واصفا ، وطرف الي ظهور العالم منه وهو

---

(١) قوله محلا لتميز صفاته القديمة هو المفعول الثانى لجعل

المسمى بالروح الاضافي ، فذكر في هذا الكلام ظهور الوجود وظهور العالم ، وقد تقدم أن الحق كان ولم يكن معه شيء وهو متجلى بنفسه بوحدته الذاتية ، وأنه لما نزلت الحلية ظهرت عقدة حقيقةالنبوة ، فصارت مرآةلانعكاس الوجود فظهر الحق فيه بصورة وصفة واصفا

وقد ذكر في هذا الكلام الحق المواجه لها والوجود الاعلى الذي ظهر ، فهذا الحق والطرف الذي لها الى الحق ، فقد ذكر هنا ثلاثة أشياء : الحق ، والوجود، والطرف ، وقد جعل فيما تقدم الحق هو الوجود المطلق الذي انعكس، وهو الحق الذي ظهر فيه واصفا،فتارة يجعل الحق هو الوجود المطلق،وتارة يجعل الوجودالمطلق قد ظهر في هذا الحق ، وهذا تناقض

ثم يقال له : هذان عندك عبارةعن الرب تعالى فقد جعلته ظاهراً وجعلته مظهرا،فان عنيت بالظهور الوجود فيكون الرب قد وجد مرة بعد مرة ، وهذا كفر شنيع ، فكيف يتصور تكرر وجوده ؟ وكيف يتصور أن يكون قد وجد في نفسه بعدأن لم يكن موجوا في نفسه؟ وإن عنيت الوضوح والتجلي،وليس(١) هناك مخلوق يظهر له ويتجلى إذ العالم بعد لم يخلق ، وأنت قلت ظهر الحق فيه واصفا، وسميته الرحمن ، ولم تجعل ظهوره معلوما ولامشهورا، فكيف يتصور ان يكون متجليا لنفسه بعد أن لم يكن متجليا ؟ فان هذا وصف له بانه لم يكن يعلم نفسه حتى علمها

وأيضا فقد قلت : انه كان متجليا لنفسه بوحدته ، فهذا كفر وتناقض

(الوجه السادس) أن هذا التحير والتناقض مثل تحير النصارى وتناقضهم في الاقانيم. فانهم يقولون : الآب والابن وروح القدس ثلاثة آلهة ، وهي إله واحد . والمتدرع بناسوت المسيح هو الابن ، ويقولون : هي الوجود ، والعلم ، والحياة ، والقدرة ،

---

(١) لعله فليس

فيقال لهم : إن كانت هذه صفات فليست آلهة ، ولا يتصور أن يكون المتدرع بالمسيح إلها إلا أن يكون هو الآب ، وان كانت جواهر وجب أن لا تكون إلها واحداً ، لان الجواهر الثلاثة لا تكون جوهراً واحداً . وقد يمثلون ذلك بقولنا زيد العالم القادر الحي ، فهو بكونه عالما ليس هو بكونه قادراً . فاذا قيل لهم هذا كله لا يمنع أن يكون ذاتا واحدة لها صفات متعددة وانهم لا يقولون ذلك (١)

وأيضا فالمتحد بالمسيح إذا كان إلهاً امتنع أن يكون صفة ، وانما يكون هو الموصوف . وأنتم لا تقولون بذلك ، فما هو الحق لا تقولونه وما تقولونه ليس بحق ، وقد قال تعالى (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق) فالنصارى حيارى متناقضون ، ان جعلوا الاقنوم صفة امتنع أن يكون المسيح الها ، وان جعلوه جوهرا امتنع أن يكون الاله واحدا ، وهم يريدون أن يجعلوا المسيح الله ويجعلوه ابن الله ، ويجعلوا الآب والابن وروح القدس الهاً واحدا . ولهذا وصفهم الله في القرآن بالشرك تارة ، وجعلهم قسما غير المشركين تارة ، لانهم يقولون الامرين وان كانوا متناقضين

وهكذا حال هؤلاء فانهم يريدون أن يقولوا بالاتحاد وانه ما ثم غيره ، ويريدون أن يثبتوا وجود العالم ، فجعلوا ثبوت العالم في علمه وهو شاهد له ، وجعلوه متجليا لذلك المشهود له ، فاذا تجلى فيه كان هو المتجلي لا غيره . وكانت تلك الاعيان المشهودة هي العالم

وهذا الرجل وابن عربي يشتركان في هذا ولكن يفترقان من وجه آخر . فان ابن عربي يقول : وجود الحق ظهر في الاعيان الثابتة في نفسها . فان شئت قلت هو الحق ، وان شئت قلت هو الخلق ، وإن شئت قلت هو الحق والخلق ، وان شئت قلت لا حق من كل وجه ولا خلق من كل وجه ، وإن شئت قلت

---

(١) سقط جواب اذا أو تركه للعلم به : وتقديره انقطعوا

بالحيرة في ذلك . واما هذا فانه يقول : تجلى الاعيان المشهودة له ، فقد قالا في جميع الخلق مايشبه قول ملكية (١) النصارى في المسيح، حيث قالوا : بان اللاهوت والناسوت صارا جوهرا واحدا له اقنومان . وأما التلمساني فانه لايثبت بعد ذلك بحال فهو مثل يعاقبة النصارى ، وهم أكفرهم ، والنصارى قالوا بذلك في شخص واحد ، وقالوا ان اللاهوت به يتدرع الناسوت بعد أن لم يكن متدرعا به . وهؤلاء قالوا انه في جميع العالم ، وانه لم يزل، فقالوا بعموم ذلك ولزومه ، والنصارى قالوا بخصوصه وحدوثه ، حتى قال قائلهم : النصارى انما كفروا لانهم خصصوا ، وهذا المعنى قد ذكره ابن عربي في غير موضع من الفصوص، وذكر ان انكار الانبياء على عباد الاصنام إنما كان لاجل التخصيص ، وإلا فالعارف المكمل من عبده في كل مظهر وهو العابد والمعبود ، وان عباد الاصنام لو تركوا عبادتهم لتركوا من الحق بقدر ماتركوا منها، وان موسى انما أنكر على هارون لكون هارون نهاهم عن عبادة العجل لضيق هارون وعلم موسى بانهم ماعبدوا إلا الله ، وان هارون انما لم يسلط على العجل ليعبدوا الله في كل صورة ، وان أعظم مظهر عبد فيه هو الهوى فما عبد أعظم من الهوى . لكن ابن عربي يثبت أعيانا ثابتة في العدم

وهذا ابن حمويه إنما أثبتها مشهودة في العلم فقط ، وهذا القول هو الصحيح لكن لا يتم له معه ما طلبه من الاتحاد ، ولهذا كان هو أبعدهم عن تحقيق الاتحاد والقرب إلى الاسلام ، وان كان أكثرهم تناقضا وهذيانا ، فكثرة الهذيان خير من كثرة الكفر . ومقتضى كلامه هذا انه جعل وجوده مشروطا بوجود العالم ، وان كان له وجود ما غير العالم ، كما أن نور العين مشروط بوجود الاجفان وان كان قائما بالحدقة ، فعلى هذا يكون الله مفتقراً إلى العالم محتاجا اليه كاحتياج نور العين إلى الجفنين . وقد قال الله تعالى (لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير

(١) طائفة من النصارى كاليعاقبة والنسطورية وغيرها

ونحن أغنياء) الى آخر الآية . فاذا كان هذا قوله فيمن وصفه بانه فقير إلى أموالهم ليعطيها الفقراء ، فكيف قوله فيمن جعل ذاته مفتقرة إلى مخلوقاته ، بحيث لولا مخلوقاته لانتشرت ذاته وتفرقت وعدمت ، كما ينتشر نور العين ويتفرق ويعدم إذا عدم الجفن ؟ وقد قال في كتابه (إن الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا) الآية . فمن يمسك السموات ؟ وقال في كتابه (ومن آياته أن تقوم السماء والارض بامره) الآية . وقال (رفع السموات بغير عمد ترونها) وقال (وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم) لايؤده لايثقله ولا يكرثه ، وقد جاء في الحديث حديث أبي داود « ماالسموات والارض وما بينهما في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بارض فلاة ، والكرسي في العرش كتلك الحلقة في الفلاة » وقد قال في كتابه (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة) الآية . وقد ثبت في الصحاح من حديث أبي هريرة وابن عمر وابن مسعود « إن الله يمسك السموات والارض بيده » فمن يكون في قبضته السموات والارض ، وكرسيه قد وسع السموات والارض ، ولا يؤده حفظهما ، وبامره تقوم السماء والارض ، وهو الذي يمسكهما ان تزولا ، أيكون محتاجا اليهما مفتقراً اليهما اذا زالا تفرق وانتشر ؟ واذا كان المسلمون يكفرون من يقول : ان السموات تقله او تظله لما في ذلك من احتياجه إلى مخلوقاته ، فمن قال : انه في استوائه على العرش محتاج إلى العرش كاحتياج المحمول إلى حامله فانه كافر ؟ لان الله غني عن العالمين ، حي قيوم ، هو الغني المطلق وما سواه فقير اليه ، مع أن أصل الاستواء على العرش ثابت بالكتاب والسنة واتفاق سلف الامة وأئمة السنة ، بل هو ثابت في كل كتاب أنزل على كل نبي أرسل ، فكيف بمن يقول انه مفتقر الى السموات والارض ، وانه إذا ارتفعت السموات والارض تفرق وانتشر وعدم ؟ فان حاجته في الحمل إلى العرش أبعد من حاجة ذاته الى ماهو دون العرش

ثم يقال لهؤلاء: إن كنتم تقولون بقدم العالم وانكار انفطار السموات والارض وانشقاقهما، وان كنتم تقولون بحدوثهما فكيف كان قبل خلقهما؟ هل كان منتشراً متفرقاً معدوما، ثم لما خلقهما صار موجوداً مجتمعاً؟ هل يقول هذا عاقل؟ فأنتم دائرون بين نوعين من الكفر، مع غاية الجهل والضلال، فاختاروا أيهما شئتم: ان صور العالم لاتزال تفنى ويحدث في العالم بدلها مثل الحيوان والنبات والمعادن، ومثل مايحدثه الله في الجو من السحاب والرعد والبرق والمطر وغير ذلك، فكلما عدم شيء من ذلك انتقص من نور الحق ويتفرق ويعدم بقدر ماعدم من ذلك، وكلما زاد شيء من ذلك زاد نوره واجتمع ووجد

وأما ان عني أن نور الله باق بعد زوال السموات والارض لكن لايظهر فيه شيء، - فما الشيء الذي يظهر بعد عدم هذه الاشياء؟ وأي تأثير للسموات والارض في حفظ نور الله، وقد ثبت في الصحيح عن أبي موسى الاشعري عن النبي ﷺ انه قال «ان الله لاينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور — أو النار — لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه» وقال عبد الله بن مسعود «ان ربكم ليس عنده ليل ولا نهار، نور السموات من نور وجهه» فقد أخبر الصادق المصدوق ان الله لو كشف حجابه لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من السموات والارض وغيرها، فمن يكون سبحات وجهه تحرق السموات والارض وانما حجابه هو الذي يمنع هذا الاحراق، أيكون نوره انما يحفظ بالسموات والارض؟

(الوجه السابع) قوله فالعلويات جفنها الفوقاني، والسفليات جفنها التحتاني، والتفرقة البشرية في السفليات، أهداب الجفن الفوقاني، والنفس الكلية سوادها، والروح الاعظم بياضها. يقال له: فاذا كا العالم هو هذه العين فالعين الاخرى أي

شيء هي ؟ وبقية الاعضاء أين هي؟ هذا على قولك إن عنيت بالعين المتعين، وان عنيت الذات والنفس وهو ما تعين فيه ، فقد جعلت نفس السموات والارض والحيوان والملائكة أبعاضاً من الله وأجزاءا منه ، وهذا قول هؤلاء الزنادقة والفرعونية الاتحادية الذين أتبعهم الله في الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين

فيقال له :فعلى هذا لم يخلق الله شيئاً ولاهو رب العالمين ، لانه إما أن يخلق نفسه أوغيره، فخلقه لنفسه محال وهذا معلوم بالبديهة ان الشيء لايخلق نفسه، ولهذ قال تعالى (أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون) يقول أخلقوا من غير خالق أم هم خلقوا أنفسهم ؟ ولهذا قال جبير بن مطعم لما سمعت النبي ﷺ يقرأ هذه الآية أحسست بفؤادي قد انصدع . فقد علموا أن الخالق لايكون هو المخلوق بالبديهة وخلقه لغيره ممتنع على أصلهم لان هذه الاشياء هي أجزاء منه ليست غيراً له

(الوجه الثامن) انه جعل البشر اهداب جفن حقيقة الله وهم دائما يزيدون وينقصون ويموتون ويحيون ،وفيهم الكافر والمؤمن والفاجر والبر، فتكون أهداب جفن حقيقة الله لاتزال مقطوفة كاشرة فاسدة، ويكون المشركون واليهود والنصارى أجفان حقيقته، وقد لعن من جعلهم أبناءه على سبيل الاصطفاء فكيف بمن جعلهم من نفسه

(الوجه التاسع) انه متناقض من حيث جعل الروح بياضها والنفس الكلية سوادها والسموات الجفن الاعلى والارضون الجفن الاسفل . ومعلوم ان جفني عين الانسان محيطان بالسواد والبياض، والروح والنفس عنده هي فوق السموات والارض ليست بين السماء والارض، كما ان سواد العين وبياضها بين الجفنين ، فهذا التمثيل مع انه من اقبح الكفر ففيه من الجهالة والتناقض ماتراه

(الوجه العاشر) ان النفس الكلية اسم تلقاه عن الصابئة الفلاسفة . وأما الروح فان مقصوده بها هو الذي يسمونه العقل وهو اول الصادرات . وسماه هو روحا، وهذا بناه على مذهب الصابئة، وليس هذا من دين الحنفاء ،وقد بينا فساد

ذلك في غير هذا الوضع . لكن الصابئة الفلاسفة خير من هؤلاء فانهم يقرون بواجب الوجود الذي صدرت عنه العقول والنفوس والافلاك والارض لايجعلونه إياه، وهؤلاء يجعلونها اياه. فقولهم انما ينطبق على المعطلة مثل فرعون وحزبه الذي قال (ومارب العالمين) وقال (ماعلمت لكم من اله غيري) وقال (ياهامان ابن لي صرحا لعلي ابلغ الاسباب أسباب السموات) الآية، فان فرعون يقر بوجود هذا العالم ويقول مافوقه رب ولا له خالق غيره . فهؤلاء اذا قالوا انه عين السموات والارض، فقد جحد ولما جحده فرعون واقروا بما أقر به فرعون ، الا ان فرعون لم يسمه آلها ولم يقل هو الله . وهؤلاء قالوا هذا هو الله . فهم مقرون بالصانع لكن جعلوه هو الصنعة . فهم في الحقيقة معطلون، وفي اعتقادهم مقرون ، وفرعون بالعكس كان منكراً للصانع في الظاهر وكان في الباطن مقرا به . فهو اكفر منهم، وهم اضل منه واجهل . ولهذا يعظمونه جدا

(الوجه الحادي عشر) قول القائل بل هذا هو الحق الصريح المتبع، لامارى المنحرف عن مناهج الاسلام ودينه، المتحير في بيداء ضلالته وجهله. فيقال: من الذي قال هذا الحق من الاولين والآخرين؟ وهذا كتاب الله من اوله الى آخره الذي هو كلام الله ووحيه وتنزيله ليس فيه شيء من هذا ، ولا في حديث واحد عن النبي ﷺ ولا عن احد من أئمة الاسلام ومشايخه . الا عن هؤلاء المفترين على الله الذين هم في مشايخ الدين نظير جنكسخان في أمر الحرب ، فديانتهم تشبه دولته ، ولعل إقراره بالصانع خير من اقرارهم،لكن بعضهم قد يوجب الاسلام فيكون خيرا من التتار من هذا الوجه

وأما محققوهم وجمهورهم فيجوز عندهم التهود والتنصر والاسلام والاشراك ، لايحرمون شيئا من ذلك ، بل المحقق عندهم لايحرم عليه شيء ولايجب عليه شيء، ومعلوم ان التتار الكفار خير من هؤلاء ، فان هؤلاء مرتدون عن الاسلام من

أقبح أهل الردة ، والمرتد شر من الكافر الاصلي من وجوه كثيرة ، وإذا كان أبو بكر الصديق (١)

وأما ما حكاه عن الذي سماه الشيخ المحقق العالم الرباني الغوث السابع في الشمعة من انه قال : اعلم ان العالم بمجموعه حدقة عين الله التي لا تنام الخ فالكلام عليه من وجوه

(احدها) أن تسمية قائل مثل هذا المقال محققا وعالما وربانيا عين الضلالة والغواية، بل هذا كلام لا تقوله لا اليهود ولا والنصارى ولا عباد الأوثان، فان كان الذي قاله مسلوب العقل كان حكمه حكم غيره في ان الله رفع عنه القلم، وان كان عاقلا فجرأة على الله الذي يقول (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا * لقد جئتم شيئا إدا * تكاد السموات يتفطرن منه) الى آخر الآيات وقال (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول - الى قوله - الظالمين) وقال (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم ، قل فمن يملك من الله شيئا ان أراد أن يهلك المسيح بن مريم - الى قوله - واليه المصير) فاذا كان هذا قوله فيمن يقول انهم أبناؤه وأحباؤه، فكيف قوله فيمن يقول إنهم أهداب جفنه؟ تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا

(الوجه الثاني) أن هذا الشيخ الضال الذي قال هذا الكفر والضلال قد نقض آخر كلامه باوله ، فان لفظ العين مشترك بين الشيء وبين العضو المبصر وبين مسميات أخر، واذا قال بعين الشيء ، فهو من العين التي بمعنى النفس أي تميز بنفسه عن غيره ، فاذا قال إن العالم بمجموعه حدقة عين الله التي لا تنام فالعين هنا بمعنى البصر. ثم قال في آخر كلامه : ونعني بعين الله ما يتعين الله فيه . فهذا من العين

(١) بياض في الاصل قدر سطرين لعله ذكر فيه أمثاله المرتدين ومانعي الزكاة من العرب وكون هؤلاء شر منهم لاباحتهم ترك جميع شرائع الاسلام

بمعنى النفس ، وهذه العين ليس لها حدقة ولا أجفان ، وانما هذا بمنزلة من قال نبعت العين وفاضت وشربنا منها واغتسلنا ، ووزنتها في الميزان فوجدتها عشرة مثاقيل وذهبها خالص ، وسبب هذا أنه كثيرا ما كان يتصرف في حروف بلا معان

(الوجه الثالث) انه تناقض من وجه آخر فانه إذا كان العالم هو حدقه العين فينبغي أن يكون قد بقي من الله بقية الاعضاء غير العين ، فاذا قال في آخر كلامه: والله هو نور العين، كان الله جزءا من العين أو صفة له ، فقد جعل في أول كلامه العالم جزءا من الله، وفي آخر كلامه جعل الله جزء من العالم. وكل من القولين كفر، بل هذا أعظم من كفر الذين ذكرهم الله بقوله (وجعلوا له من عباده جزءاً ان الانسان لكفور مبين * أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين) فاذا كان الله كفر من جعل له من عباده جزءاً فكيف من جعل عباده تارة جزءا منه وتارة جعله هو جزءاً منهم؟ فلعن الله ارباب هذه المقالات وانتصر لنفسه ولكتابه ولرسوله ولعباده المؤمنين منهم

(الوجه الرابع) انه تناقض من جهة أخرى، فانه إذا قال العين: مايتعين الله فيه، والعالم كله حدقة عينه التي لاتنام، فقد جعله متعينا في جميع العالم ، فاذا قال بعدها وهو نور العين، بقيت سائر أجزاء العين من الاجفان والاهداب والسواد والبياض لم يتعين فيها، فقد جعله متعينا فيها غير متعين فيها

(الوجه الخامس) ان نور العين مفتقر الى العين محتاج اليها لقيامه بها ، فاذا كان الله في العالم كالنور في العين وجب أن يكون محتاجا إلى العالم

واعلم ان هذا القول يشبه قول الحلولية الذين يقولون هو في العالم كالماء في الصوفة وكالحياة في الجسم ونحو ذلك، ويقولون هو بذاته في كل مكان ، وهذا قول قدماء الجهمية الذين كفرهم أئمة الاسلام . وحكى عن الجهم انه كان يقول هو مثل هذا الهواء ، أو قال هو هذا الهواء

وقوله اولا : هو حدقة عين الله ، يشبه قول الاتحادية فان الاتحادية يقولون

هو مثل الشمعة التي تتصور في صور مختلفة وهي واحدة، فهو عندهم الوجود، واختلاف احواله كاختلاف احوال الشمعة، ولهذا كان صاحب هذه المقالات متخبطاً لا يستقر عند المسلمين الموحدين المخلصين، ولا هو عند هؤلاء الملاحدة الاتحادية من محققيهم العارفين. فان هؤلاء كلهم من جنس النصيرية والاسماعيلية، مقالات هؤلاء في الرب من جنس مقالات أولئك، وأولئك فيهم التمسك بالشريعة وفيهم التخلي عنها، وهؤلاء كذلك، لكن أولئك أحذق في الزندقة، وهم يعلمون انهم معطلون مثل فرعون، وهؤلاء جهال يحسبون انهم يحسنون صنعا

(الوجه السادس) قوله من العلويات والسفليات لو ارتفعت لانبسط نور الله تعالى بحيث لا يظهر فيه شيء أصلا . وهذا كلام مجمل، ولا ريب ان قائل هذه المقالة من المذبذبين بين الكافرين والمؤمنين ، لا هو من المؤمنين ولا من الاتحادية المحضة، لكنه قد لبس الحق بالباطل، وذلك ان الاتحادية يقولون ان عين السموات والارض لو زالت لعدم الله ، واللفظ يصرح به بعضهم ، واما غالبهم فيشيرون اليه إشارة وعوامهم لا يفهمون هذا من مذهب الباقين فان هؤلاء من جنس القرامطة والباطنية ، وأولئك انما يصل الى البلاغ الاكبر الذي هو آخر المراتب خواصهم. ولهذا حدثني بعض أكابر هؤلاء الاتحادية عن صاحب هذه المقالة انه كان يقول ليس بين التوحيد والالحاد الا فرق لطيف، فقلت له : هذا من أبطل الباطل، بل ليس بين مذهبين من الفرق أعظم مما بين التوحيد والالحاد . وهذا قاله بناء على هذا الخلط واللبس الذي خلطه، مثل قوله ان العلويات والسفليات لو ارتفعت لانبسط نور الله بحيث لا يظهر فيه شيء

فيقال له : إذا ارتفعت العلويات والسفليات فما تعني بانبساطه ؟ اتعني تفرقه وعدمه كما يتفرق نور العين عند عدم الاجفان ؟ أم تعني انه ينبسط شيء موجود؟

وما الذي ينبسط حينئذ ؟ هو نفس الله أم صفة من صفاته ؟ وعلى أي شيء ينبسط ؟ وما الذي يظهر فيه أولا يظهر ؟

فان عنيت الاول وهو مقتضى اول كلامك، لانك قلت: وإنما قلنا ان العلويات والسفليات اجفان عين الله لانهما يحافظان على ظهور النور ، فلو قطعت اجفان عين الانسان لتفرق نور عينه وانتشر بحيث لا يرى شيئا أصلا، فكذلك العلويات والسفليات لو ارتفعت لانبسط نور الله بحيث لا يظهر فيه شيء أصلا .

وقد قلت : ان الله هو نور العين والروح الاعظم بياضها والنفس الكلية سوادها. ومعلوم ان نور العين على ماذكرته بشرط وجوده هو الاجفان، فاذا ارتفع الشرط ارتفع المشروط، فيكون العالم عندك شرطا في وجود الله، فاذا ارتفع العالم ارتفعت حقيقة الله لانتفاء شرطه، وان أثبت له ذاتا غير العالم فهذا أحد قولي الاتحادية : فانهم تارة يجعلون وجود الحق هو عين وجود المخلوقات ليس غيرها. وعلى هذا فلا يتصور وجوده مع عدم المخلوقات، وهذا تعطيل محض للصانع، وهو قول القونوي والتلمساني ، وهو قول صاحب الفصوص في كثير من كلامه ، وتارة يجعلونه وجودا قائما بنفسه، ثم يجعلون نفس ذلك الوجود هو أيضا وجود المخلوقات بمعنى انه فاض عليها . وهذا أقل كفرا من الاول ، وان كان كلاهما من اغلظ الكفر وأقبحه.

وفي كلام صاحب الفصوص وغيره في بعض المواضع ما يوافق هذا القول. وكذلك كلام هذا فانه قد يشير الى هذا المعنى

ثم مع ذلك هل يجعلون وجوده مشروطا بوجود العالم فيكون محتاجا الى العالم اولا يجعلون ؟ قد يقولون هذا وقد يقولون هذا

(السابع) انهم يمدحون الضلال والحيرة والظلم والخطا والعذاب الذي عذب الله به الامم، ويقلبون كلام الله وكلام رسوله قلبا يعلم فساده بضرورات العقول، مثل قول صاحب الفصوص: لو ان نوحا جمع لقومه بين الدعوتين لاجابوه، فدعاهم جهارا، ثم دعاهم

اسرارا - الى أن قال: وذكرعن قومه انهم تصاموا عن دعوته ، لعلمهم بما يجب عليهم من اجابة دعوته، فعلم العلماء بالله ماأشار اليه نوح في حق قومه من الثناء عليهم بلسان الذم، وعلم انهم انما لم يجيبوا دعوته لما فيها من الفرقان، والامر قرآن لافرقان ومن أقيم في القرآن لايصغي الى الفرقان وان كان فيه .

فيمدحون ويحمدون ماذمه الله ولعنه ونهى عنه، ويأتون من الافك والفرية على الله والالحاد في اسماء الله وآياته بما تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا* كقول صاحب الفصوص في فص نوح:

(مما خطيئاتهم أغرقوا) فهي التي خطت بهم فغرقوا في بحار العلم بالله وهو الحيرة (فادخلوا ناراً) في عين الماء في المحمدتين ، (فاذا البحار سجرت - سجرت التنور اذا أوقدته (فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا) فكان الله عين انصارهم ، فهلكوا فيه الى الابد، فلو اخرجهم الى السيف سيف الطبيعة لنزلوا عن هذه الدرجة الرفيعة ، وإن كان الكل لله وبالله بل هو الله (قال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين) الذين استغشوا ثيابهم وجعلوا أصابعهم فى آذانهم ، طلبا للستر لانه دعاهم ليغفر لهم ، والغفر الستر (دياراً) أحداً حتى تعم المنفعة كما عمت الدعوة (إنك إن تذرهم) أي تدعهم وتتركهم (يضلوا عبادك) أي يحيروهم ويخرجوهم من العبودية ، إلى ما فيهم من اسرار الربوبية، فينظروا انفسهم أربابا، بعد ما كانوا عند انفسهم عبيداً ، فهم العبيد الارباب (ولا يلدوا) أى ماينتجون ولا يظهرون (الا فاجراً) أى مظهر ماستر (كفارا) أى ساترا ماظهر بعد ظهوره ، فينظرون ماسترهم ثم يسترون بعد ظهوره . فيحار الناظر ، ولا يعرف قصد الفاجر في فجوره ولا الكافر في كفره، والشخص واحد (رب اغفر لي) أى استرني واستر مراحلى ، فيجهل مقامي وقدري كما جهل قدرك في قولك « وما قدروا الله حق قدره» (ولوالدي) أى من كنت نتيجة عنهما وهما العقل والطبيعة (ولمن دخل بيتي) أى قلبي (مؤمنا) مصدقا بما يكون فيه من الاخبار الالهية وهو ما

حدثت به أنفسها (والمؤمنين) من العقول (والمؤمنات) من النفوس (ولا تزد الظالمين) من الظلمات أهل الغث المكتنفين داخل الحجب الظلمانية (الا تبارا) أي هلاكا، فلا يعرفون نفوسهم، لشهودهم وجه الحق دونهم . اهـ

وهذا كله من أقبح تبديل كلام الله وتحريفه، ولقد ذم الله أهل الكتاب في القرآن على ماهو دون هذا، فانه ذمهم على انهم حرفوا الكلم عن مواضعه وانهم (يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) وهؤلاء قد حرفوا كلام الله عن مواضعه أقبح تحريف، وكتبوا كتب النفاق والالحاد بايديهم وزعموا أنها من عند الله، تارة يزعمون انهم ياخذون من حيث يأخذ الملك الذي يوحي به إلى النبي، فيكون فوق النبي بدرجة، وتارة يزعمون انهم يأخذون من حيث يأخذ الله، فيكون أحدهم في عمله بنفسه بمنزلة علم الله به، لان الاخذ من معدن واحد، وتارة يزعم أحدهم أن النبي ﷺ أعطاه في منامه هذا النفاق العظيم، والالحاد البليغ، وأمره ان يخرج به إلى أمته وانه ابرزه كما حده له رسول الله ﷺ من غير زيادة ولا نقصان، وكان جماعة من الفضلاء - حتى بعض من خاطبني فيه وانتصر له - يرى أنه كان يستحل الكذب، ويختارون أن يقل كان يتعمد الكذب، وان ذلك هو أهون من الكفر، ثم صرحوا بان مقالته كفر. وكان ممن يشهد عليه بتعمد الكذب غير واحد من عقلاء الناس وفضلائهم من المشايخ والعلماء

ومعلوم ان هذا من أبلغ الكذب على الله ورسوله وانه من أحق الناس بقوله (ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب أو قال أوحي الي ولم يوح اليه شيء) وكثير من المتنبئين الكذابين كالمختار بن أبي عبيد وأمثاله لم يبلغ كذبهم وافتراؤهم إلى هذا الحد، بل مسيلمة الكذاب لم يبلغ كذبه وافتراؤه إلى هذا الحد، وهؤلاء كلهم كان يعظم النبي ﷺ ويقر له بالرسالة، لكن كان يدعي انه رسول آخر، ولا ينكر وجود الرب

ولا ينكر القرآن في الظاهر، وهؤلاء جحدوا الرب واشركوا به كل شيء وافتروا هذه الكتب التي قد يزعمون انها أعظم من القرآن، ويفضلون نفوسهم على النبي ﷺ من بعض الوجوه، كما قد صرح به صاحب الفصوص عن خاتم الاولياء

وحدثني الثقة عن الفاجر التلمساني انه كان يقول: القرآن كله شرك ليس فيه توحيد وانما التوحيد في كلامنا

واما الضلال والحيرة فما مدح الله ذلك قط ولا قال النبي ﷺ « زدني فيك تحيراً » ولم يرو هذا الحديث أحد من أهل العلم بالحديث، ولا هو في شيء من كتب الحديث، ولا في شيء من كتب من يعلم الحديث، بل ولا من يعرف الله ورسوله، وكذلك احتجاجه بقوله (كلما اضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا) وإنما هذا حال المنافقين المرتدين، فان الضلال والحيرة مما ذمه الله في القرآن، قال الله تعالى في القرآن (قل اندعو من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران) الآية

وهكذا يريد هؤلاء الضالون المتحيرون أن يفعلوا بالمؤمنين، يريدون أن يدعوا من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم، وهي المخلوقات والاوثان والاصنام وكل ماعبد من دون الله، ويريدون أن يردوا المؤمنين على أعقابهم، يردونهم عن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت، ويصيروا حائرين ضالين كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى: ائتنا وقال تعالى (ونقلب افئدتهم وأبصارهم - الى قوله - يعمهون) أي يحارون ويترددون وقال تعالى (إهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين انعمت عليهم * غير المغضوب عليهم ولا الضالين) فامر بان نسأله هداية الصراط المستقيم صراط الذين انعم عليهم المغايرين للمغضوب عليهم وللضالين. وهؤلاء يذمون الصراط المستقيم ويمدحون طريق أهل الضلال والحيرة، مخالفة لكتب الله ورسله، ولما فطر الله عليه عباده من المعقول والالباب

فصل

﴿ في ذكر بعض ألفاظ ابن عربي التى تبين ما ذكرنا من مذهبه، فان أكثر الناس قد لا يفهمونه ﴾

قال في فص يوسف — بعد أن جعل العالم بالنسبة إلى الله كظل الشخص، وتناقض في التشبيه : فكل ماتدركه فهو وجود الحق في أعيان الممكنات، فمن حيث هوية الحق هو وجوده، ومن حيث اختلاف الصور فيه هو أعيان الممكنات، فكما لا يزول عنه باختلاف الصور اسم الظل، كذلك لا يزول عنه باختلاف الصور اسم العالم أو اسم سوى الحق، فمن حيث أحدية كونه ظلا هو الحق، لانه الواحد الأحد، ومن حيث كثرة الصور هو العالم، فتفطن وتحقق ما أوضحناه لك . وإذا كان الامر على ما ذكرته لك فالعالم متوهم ماله وجود حقيقي، وهذا معنى الخيال، أي خيل لك انه أمر زائد قائم بنفسه خارج عن الوجود الحق، وليس كذلك في نفس الامر . ألا تراه في الحس متصلا بالشخص الذي امتد عنه يستحيل عليه الانفكاك عن ذلك الاتصال، لانه يستحيل على الشيء الانفكاك عن ذاته، فاعرف عينك ومن أنت وما هويتك ؟ وما نسبتك إلى الحق وبما أنت حق وبما أنت عالم وسوى وغير ؟ وماشا كل هذه الالفاظ

وقال في أول الفصوص بعد (فص حكمة آلهية في كلمة آدمية) وهو (فص حكمة نفثية، في كلمة شيثية) وقد قسم العطاء بأمر الله وانما يكون عن سؤال وعن غير سؤال وذكر القسم الذي لانسان[1] لان شيثاً هو هبة الله — إلى أن قال:

«ومن هؤلاء من يعلم أن علم الله به في جميع أحواله هو ما كان عليه في حال ثبوت

---

(١) كذا في الاصل وهو محرف أو سقط منه شيء والكلام في فص شيث هذا يقتضي ان المراد أول انسان حصل له العلم بالنفث الملكي في الروع هو شيث وهو علة تسميته . والشيخ أشار الى مقدمة هذا الفص اشارة مجملة لان غرضه ما بعدها

عينه قبل وجودها ويعلم ان الحق لا يعطيه إلا ماأعطاه عينه من العلم به، وهو ما كان عليه في حال ثبوته، فيعلم علم الله به من أين حصل، ومانم صنف من اهل الله أعلا وأكشف من هذا الصنف، فهم الواقفون على سر القدر، وهم على قسمين: منهم من يعلم ذلك مجملا، ومنهم من يعلم ذلك مفصلا، والذي يعلمه مفصلا أعلا وأتم من الذي يعلمه مجملا، فانه يعلم ماتعين في علم الله فيه، إما باعلام الله إياه بما أعطاه عينه من العلم به، وإما بأن يكشف له عن عينه الثابتة وعن انتقالات الاحوال عليها إلى ما لا يتناهى، وهو أعلا، فانه يكون في علمه بنفسه بمنزلة علم الله به، لان الأخذ من معدن واحد، إلا انه من جهة العبد عناية من الله سبقت له هي من جملة أحوال عينه يعرفها صاحب هذا الكشف إذا أطلعه الله على ذلك (اي على احوال عينه) فانه ليس في وسع المخلوق اذا أطلعه الله على احوال عينه الثابتة التي تقع صورة الوجود عليها ان يطلع في هذه الحال على اطلاع الحق على هذه الاعيان الثابتة في حال عدمها، لانها نسب ذاتية لا صورة لها، فبهذا القدر نقول: ان العناية الالهية سبقت لهذا العبد بهذه المساواة في إفادتها العلم، ومن هنا يقول (الله حتى نعلم) وهي كلمة محققة المعنى، ماهي كما يتوهم من ليس له هذا المشرب، وغاية المنزه ان يجعل ذلك الحدوث في العلم للتعلق، وهو أعلا وجه يكون للمتكلم بعقله في هذه المسئلة، لولا انه أثبت العلم زائداً على الذات فجعل التعلق له لا للذات، وبهذا انفصل عن المحقق من اهل الله صاحب الكشف والوجود.

ثم نرجع الى الاعطيات فنقول: إن الاعطيات إما ذاتية أو اسمائية، فأما المنح والهبات والعطايا الذاتية فلا تكون ابداً الا عن تجلى إلهي، والتجلي من الذات لا يكون ابداً الا لصورة استعداد العبد المتجلى له، وغير ذلك لا يكون، فاذن المتجلى له مارأى سوى صورته في مرآة الحق وما رأى الحق ولا يمكن ان يراه مع علمه انه مارأى صورته إلا فيه، كالمرآة في الشاهد إذا رأيت الصور فيها لا تراها مع علمك انك ما رأيت الصور أو صورتك إلا فيها، فابرز الله ذلك مثالا نصبه لتجليه

الذاتي، ليعلم المتجلى له انه ما رآه، وما ثم مثال اقرب ولا أشبه بالرؤية والتجلي من هذا، واجهد في نفسك عند ماترى الصورة في المرآة ان ترى جرم المرآة لاتراه ابداً ألبتة، حتى ان بعض من أدرك مثل هذا في صور المرئي ذهب الى ان الصورة المرئية بين بصر الرائي وبين المرآة، هذا اعظم ما قدر عليه من العلم، والامر كما قلناه وذهبنا اليه . وقد بينا هذا في الفتوحات المكية ، واذا ذقت هذا ذقت الغاية التي ليس فوقها غاية في حق المخلوق، فلا تطمع ولا تتعب نفسك في ان ترقى أعلا من هذا الدرج فما هو ثم اصلا وما بعده الا العدم المحض، فهو مرآتك في رؤيتك نفسك ، وأنت مرآته في رؤيته اسماءه وظهور أحكامها ، وليست سوى عينه فاختلط الامر وانبهم ، فمنا من جهل في علمه فقال * والعجز عن درك الادراك ادراك *[1] ومنا من علم فلم يقل مثل هذا القول وهو أعلا القول ، بل اعطاه العلم السكوت ما اعطاه العجز ، وهذا هو اعلا عالم بالله .

وليس هذا العلم الا لخاتم الرسل وخاتم الاولياء ، وما يراه احد من الانبياء والرسل الا من مشكاة الرسول الخاتم، ولا يراه أحد من الاولياء إلا من مشكاة الولي الخاتم، حتى ان الرسل لا يرونه متى رأوه إلا من مشكاة خاتم الاولياء ، فان الرسالة والنبوة – أعني نبوة التشريع ورسالته – ينقطعان، والولاية لاتنقطع أبداً . والمرسلون من حيث كونهم أولياء لايرون ماذكرناه إلا من مشكاة خاتم الاولياء ، فكيف من دونهم من الاولياء ، وإن كان خاتم الاولياء تابعاً في الحكم لما جاء به خاتم الرسل من التشريع ، فذلك لا يقدح في مقامه ولا يناقض ماذهبنا اليه، فانه من وجه يكون أنزل، كما انه من وجه يكون أعلا . وقد ظهر في ظاهر شرعنا مايؤيد ماذهبنا اليه في فضل عمر في أسارى بدر بالحكم فيهم ، وفي

---

(١) هذا القول منسوب الى الصديق الاكبر أبي بكر (رض) وابن عربي يفضل نفسه عليه في العلم بالله كما ترى بعده ويدعى انه مساو لرسول الله ﷺ بل يفضل نفسه عليه من بعض الجهات

تأبير النخل . فما يلزم الكامل أن يكون له التقدم في كل شيء، وفي كل مرتبة . وانما نظر الرجال الى التقدم في مرتبة العلم بالله ، هنالك مطلبهم، وأما حوادث الاكوان فلا تعلق لخواطرهم بها، فتحقق ما ذكرناه

« ولما مثل النبي ﷺ النبوة بالحائط من اللبن وقد كمل سوى موضع لبنة فكان النبي ﷺ تلك اللبنة، غير انه ﷺ لا يراها الا كما قال لبنة واحدة . وأما خاتم الاولياء فلابد له من هذه الرؤية ما مثل به رسول الله ﷺ فيرى في الحائط موضع لبنتين واللبن من ذهب وفضة فيرى اللبنتين اللتين ينقص الحائط عنهما ويكمل بهما لبنة ذهب ولبنة فضة، فلا بد من أن يري نفسه تنطبع في موضع تينك اللبنتين فيكون خاتم الاولياء تينك اللبنتين ، ليكمل الحائط

« والسبب الموجب لكونه رآها لبنتين انه تابع لشرع خاتم الرسل في الظاهر، وهو موضع اللبنة الفضة وهو ظاهره وما يتبعه فيه من الاحكام ، كما هو آخذ عن الله تعالى في السر ما هو بالصورة الظاهرة متبع فيه ، لانه رأى الامر على ما هو عليه ، فلا بد أن يراه هكذا وهو موضع اللبنة الذهبية في الباطن ، فانه آخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحى به الى الرسول .

« فان فهمت ما أشرت به فقد حصل لك العلم النافع. فكل نبي من لدن آدم الى آخر نبي ما منهم أحد يأخذ الا من مشكاة خاتم النبيين. وان تأخر وجود طينته، فانه بحقيقته موجود ، وهو قوله ﷺ « كنت نبيا وآدم بين الماء والطين » وغيره من الانبياء ما كان نبيا الا حين بعث . وكذلك خاتم الاولياء كان وليا وآدم بين الماء والطين، وغيره من الاولياء ما كان وليا الا بعد تحصيله شرائط الولاية من الاخلاق الالهية والاتصاف بها من اجل كون الله يسمى بالولي الحميد

« فخاتم الرسل من حيث ولايته نسبته مع الختم للولاية مثل نسبة الانبياء والرسل.

معه، وانه الولي الرسول النبي . وخاتم الاولياء الولي الوارث الآخذ عن الاصل المشاهد المراتب وهو حسنة من حسنات خاتم الرسل محمد ﷺ، مقدم الجماعة، وسيد ولد آدم في فتح باب الشفاعة . فعين بشفاعته حالا خاصا ما عم . وفي هذه الحال الخاص تقدم على الاسماء الآلهية . فان الرحمن ماشفع عند المنتقم في أهل البلاء الا بعد شفاعة الشافعين ، ففاز محمد بالسيادة في هذا المقام الخاص

« فمن فهم المراتب والمقامات لم يعسر عليه قبول مثل هذا الكلام » اه

*

فهذا النص قد ذكر فيه حقيقة مذهبه التي ينبني عليها سائر كلامه فتدبر مافيه من الكفر الذي (تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا) وما فيه من جحد خلق الله وامره، وجحود ربوبيته وألوهيته وشتمه وسبه، وما فيه من الازراء برسله وصديقيه والتقدم عليهم بالدعاوي الكاذبة ، التي ليس عليها حجة، بل هي معلومة الفساد بادنى عقل وإيمان، وأيسر مايسمع من كتاب وقرآن، وجعل الكفار والمنافقين والفراعنة هم أهل الله وخاصته أهل الكشوف وذلك باطل من وجوه

(احدها) انه أثبت له عينا ثابتة قبل وجوده ولسائر الموجودات وإن ذلك ثابت له ولسائر أحواله وكل ما كان موجودا من الاعيان والصفات والجواهر والاعراض فعينه ثابتة قبل وجوده . وهذ ضلال قد سبق اليه كما تقدم

(الثاني) انه جعل علم الله بالعبد انما حصل له من علمه بتلك العين الثابتة في العدم التي هي حقيقة العبد ، لا من نفسه المقدسة ، وأن علمه بالاعيان الثابتة في العدم واحوالها تمنعه أن يفعل غير ذلك، وأن هذا هو سر القدر. فتضمن هذا وصف الله تعالى بالفقر الى الاعيان وغناها عنه، ونفى ما استحقه بنفسه من كمال علمه وقدرته، ولزوم التجهيل والتعجيز ، وبعض ما في هذا الكلام المضاهاة لما ذكره الله عمن قال (لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن اغنياء) الآية، فانه جعل حقائق الاعيان الثابتة في العدم غنية عن الله في حقائقها وأعيانها ، وجعل الرب

مفتقرا اليه في علمه بها، فما استفاد علمه بها الا منها، كما يستفيد المعد العلم بالمحسوسات من إدراكه لها، مع غنى تلك المدركات عن المدرك . والمسلمون يعلمون ان الله عالم بالاشياء قبل كونها بعلمه القديم الازلي الذي هو من لوازم نفسه المقدسة لم يستفد علمه بها منها (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) فقد دلت هذه الآية على وجوب علمه بالاشياء من وجوه انتظمت البراهين المذكورة لاهل النظر والاستدلال القياسي العقلي من أهل الكلام والفلسفة وغيرهم

(أحدها) انه خالق لها والخلق هو الابداع بتقدير، وذلك يتضمن تقديرها في العلم قبل كونها في الخارج

(الثاني) أن ذلك مستلزم للارادة والمشيئة، والارادة مستلزمة لتصور المراد والشعور به ، وهذه الطريقة المشهورة عند اكثر أهل الكلام

(الثالث) انها صادرة عنه وهو سببها التام والعلم باصل الامر وسببه يوجب العلم بالفرع المسبب. فعلمه بنفسه مستلزم العلم بكل ما يصدر عنه

(الرابع) انه في نفسه لطيف يدرك الدقيق ، خبير يدرك الخفي، وهذا هو مقتضي العلم بالاشياء ، فيجب وجود المقتضى لوجود السبب التام ، فهو في علمه بالاشياء مستغن بنفسه عنها كما هو غني بنفسه في جميع صفاته. ثم إذا رأى الاشياء بعد وجودها وسمع كلام عباده ونحو ذلك فانما يدرك ما أبدع وما خلق وما هو مفتقر اليه ومحتاج من جميع وجوهه، لم يحتج في علمه وادراكه الى غيره البتة. فلا يجوز القول بان علمه بالاشياء استفاده من نفس الاشياء الثابتة الغنية في ثبوتها عنه

وأما جحود قدرته فلانه جعل الرب لا يقدر الا على تجليه في تلك الاعيان الثابتة في العدم الغنية عنه، فقدرته محدودة بها مقصورة عليها مع غناها عنه وثبوت حقائقها بدونه. وهذا عنده هو السر الذي اعجز الله أن يقدر على غير ما خلق، فلا يقدر عنده على أن يزيد في العالم ذرة ولا ينقص منه ذرة ، ولا يزيد في المطر قطرة

ولا ينقص منه قطرة،ولا يزيد في طول الانسان ولا ينقص منه ، ولا يغير شيئا من صفاته ولا حركاته ولا سكناته،ولا ينقل حجرا عن مقره، ولا يحول ماءعن ممره،ولا يهدي ضالا ولا يضل مهتديا،ولا يحرك ساكنا ولا يسكن متحركا . ففي الجملة لا يقدر الا على ما وجد،لان ما وجد فعينه ثابتة في العدم ولا يقدر على اكثر من ظهوره في تلك الاعيان

وهذا التجلي والتعجيز الذي ذكره وزعم انه هو سر القدر وإن كان قد تضمن بعض ما قاله غيره من الضلال ففيه من الكفر ما لا يرضاه غيره من الضالين . فان القائلين بان المعدوم شيء يقولون ذلك في كل ممكن كان أو لم يكن ، ولا يجعلون علمه بالاشياء مستفاداً من الاشياء قبل أن يكون وجودها ، ولا خلقه وقدرته مقصورة على ما علمه منها، فانه يعلم أنواعا من الممكنات لم يخلقها. فعلومه من الممكنات أوسع مما خلقه ، ولا يجعلون المانع من أن يخلق غير ما خلق هو كون الاعيان الثابتة في العدم لا تقبل سوى هذا الوجود، بل يمكن عندهم وجودها على صفة أخرى،هي أيضا من الممكن الثابت في العدم. فلا يفضي قولهم لا الى تجهيل ولا إلى تعجيز من هذا الوجه. وإنما قد يقولون المانع من ذلك أن هذا هو أكمل الوجوه وأصلحها،فعلمه بانه لا أكمل من هذا يمنعه أن يريد ما ليس أكمل بحكمته فيجعلون المانع أمراً يعود الى نفسه المقدسة حتى لا يجعلونه ممنوعا من غيره،فاين من لا يجعل له مانعا من غيره ولا رادّ لقضائه ممن يجعله ممنوعا مصدودا؟ وأين من يجعله عالما بنفسه ممن يجعله مستفيداً للعلم من غيره ؟ ومن هو غني عنه؟هذا مع أن اكثر الناس انكروا على من قال: ليس في الامكان أبدع من هذا العالم

(الثالث) انه زعم ان من الصنف الذي جعله اعلا اهل الله من يكون في علمه بمنزلة علم الله،لان الاخذ من معدن واحد اذ اكشف له عن أحوال الاعيان الثابتة في العدم فيعلمها من حيث علمها الله، الا انه من جهة العبد عناية من الله سبقت له

هي من جملة احوال عينه يعرفها صاحب هـذا الكشف اذا أطلعه الله على ذلك فجعل علمه وعلم الله من معدن واحد

(الرابع) انه جعل الله عالما بها بعد ان لم يكن عالما واتبع المتشابه الذي هو قوله: (حتى يعلم) وزعم انها كلمة محققة المعنى بناء على أصله الفاسد أن وجود العبد هو عين وجود الرب، فكل مخلوق علم مالم يكن علمه فهو الله علم مالم يكن علمه. وهذا الكفر ماسبقه اليه كافر، فان غاية المكذب بقدر الله ان يقول ان الله علم مالم يكن عالما، اما انه يجعل كل ماتجدد لمخلوق من العلم فانما تجدد لله، وأن الله لم يكن عالما بما علمه كل مخلوق حتى علمه ذلك المخلوق

(الخامس) انه زعم ان التجلي الذاتي بصورة استعداد المتجلي والمتجلى له مارأى سوى صورته في مرآة الحق، وانه لايمكن أن يرى الحق مع علمه بانه مارأى صورته إلا فيه، وضرب المثل بالمرآة فجعل الحق هو المرآة والصورة في المرآة هي صورته

وهذا تحقيق ماذكرته من مذهبه : أن وجود الاعيان عنده وجود الحق، والاعيان كانت ثابتة في العدم، فظهر فيها وجود الحق بالمتجلى له، والعبد لايرى الوجود مجرداً عن الذوات، مايرى إلا الذوات التي ظهر فيها الوجود، فلا سبيل له إلى رؤية الوجود أبداً . وهذا عنده هو الغاية التي ليس فوقها غاية في حق المخلوق وما بعده إلا العدم المحض، فهو مرآتك في رؤيتك نفسك وأنت مرآته في رؤيته اسماءه وظهور أحكامها . وذلك لان العبد لايري نفسه التي هي عينه إلا في وجود الحق الذي هو وجوده، والعبد مرآته في رؤيته اسماءه وظهور أحكامها، لان اسماء الحق عنده هي النسب والاضافات التي بين الاعيان وبين وجود الحق، وأحكام الاسماء هي الاعيان الثابتة في العدم، وظهور هذه الاحكام بتجلي الحق في الاعيان، والاعيان التي هي حقيقة العيان هي مرآة الحق التي بها يرى اسماءه وظهور أحكامها ، فانه إذا ظهر في الاعيان حصلت النسبة التي بين

الوجود والاعيان وهي الاسماء ، وظهرت أحكامها وهي الاعيان ، ووجود هذه الاعيان هو الحق ، فلهذا قال وليست سوى عينه ، فاختلط الامر وانبهم .

فتدبر هذا من كلامه وما يناسبه لتعلم مايعتقده من ذات الحق واسمائه، وان ذات الحق عنده هي نفس وجود المخلوقات ، واسماءه هي النسب التي بين الوجود والاعيان ، وأحكامها هي الاعيان. لتعلم كيف اشتمل كلامه على الجحود لله ولاسمائه واصفاته وخلقه وأمره، وعلى الالحاد في أسماء الله وآياته، فان هذا الذي ذكره غاية الالحاد في أسماء الله وآياته الآيات المخلوقة والآيات المتلوة، فانه لم يثبت له اسما ولا آية، إذ ليس إلا وجوداً واحداً وذلك ليس هو اسما ولا آية، والاعيان الثابتة ليست هي اسماءه ولا آياته، ولما اثبت شيئين فرق بينهما الوجود والثبوت وليس بينهما فرق اختلط الامر عليه وانبهم .

وهذا حقيقة قوله وسر مذهبه الذي يدعى انه به أعلم العالم بالله ، وأنه تقدم بذلك على الصديق الذي جهل فقال : العجز عن لادراك إدراك ، وتقدم به على المرسلين الذين علموا ذلك من مشكاته[1] وفيه من أنواع الكفر والضلال مايطول عدها (منها) الكفر بذات الله إذ ليس عنده إلا وجود المخلوق (ومنها) الكفر باسماء الله وأنها ليست عنده إلا أمور عدمية فاذا قلنا الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم فليس الرب عنده إلا نسبة الى[2]

(السادس) انه قال واختلط الامر وانبهم، وهو على أصله الفاسد مختلط منبهم

---

(١) لانه يدعي أنه هو ختم الولاية ، وان خاتم الولاية أعلى من خاتم النبوة في الباطن ، وان كان يتبعه في الظاهر ، الخ ماتقدم، وغايته انه بلغ من غروره بما حذقه من الزوثرة بخلط النظريات الفلسفية بالخيالات الصوفية ان حاول اقناع قراء فصوصه بانه رب العالمين من حيث انه أكمل مظهر للخلق الذي هو عين الحق ، وما الرب عنده إلا نسبة اضافية بين مايسمى حقا ومايسمى خلقا وهما في نفس الامر شيء واحد

(٢) بياض في الاصل يعلم ماسقط منه مما تقدم

وعلى أصل أهل الهدى والايمان متميز متبين، قد بين الله بكتابه الحق من الباطل والهدى من الضلال.

قال: فمنا من جهل علمه فقال العجز عن درك الادراك ادراك وهذا الكلام مشهور عندهم نسبته إلى أبي بكر الصديق، فجعله جاهلا وإن كان هذا اللفظ لم ينقل عن أبي بكر ولا هو ماثور عنه في شيء من النقول المعتمدة، وانما ذكر إبن أبي الدنيا في كتاب الشكر نحوا من ذلك عن بعض التابعين غير مسمى، وإنما يرسل ارسالا من جهة من يكثر الخطا في مراسليهم، كما يحكون عن عمر أنه قال: كان النبي ﷺ وابو بكر إذا تخاطبا كنت كالزنجي بينهما». وهذا أيضا كذب باتفاق أهل المعرفة، وإنما الذي في الصحيح عن ابي سعيد الخدري قال خطبنا رسول ﷺ على المنبر «فقال ان عبداً خيره الله بين الدنيا والآخرة فاختار ذلك العبد ماعند الله» فبكى أبو بكر، فقال: بل نفديك بانفسنا وأموالنا، أو كما قال، فجعل الناس يقولون: عجبا لهذا الشيخ يبكي ان ذكر رسول الله ﷺ عبداً خيره الله بين الدنيا والآخرة. فكان رسول الله ﷺ هو المخير وكان أبو بكر هو أعلمنا به. وكان أبو بكر هو أعلمهم بمراد رسول الله ﷺ ومقاصده في كلامه. وإن كانوا كلهم مشتركين في فهمه.

وهذا كما في الصحيح أنه قيل لعلي عليه السلام: هل ترك عندكم رسول الله ﷺ شيئا؟ وفي لفظ: هل عهد اليكم رسول الله ﷺ شيئا لم يعهده إلى الناس؟ فقال «لا والذي فلق الحبة وبرا النسمة، الا فهماً يؤتيه الله عبداً في كتابه، وما في هذه الصحيفة(١) وبهذا ونحوه من الاحاديث الصحيحة إستدل العلماء على أن مايذكر عن علي وأهل البيت من انهم إختصوا بعلم خصهم به النبي ﷺ دون

(١) هي صحيفة علقها في سيفه كتب فيها عن النبي ﷺ أحكام الدية وفكاك الاسير وتحريم المدينة

غيرهم كذب عليهم ، مثل مايذكر من الجفر والبطاقة والجدول ، وغير ذلك وما يأثره القرامطة الباطنية عنهم ، فانه قد كذب على جعفر الصادق رضي الله عنه مالم يكذب على غيره . وكذلك كذب على علي عليه السلام وغيره من أئمة أهل البيت رضي الله عنهم، كما قد بين هذا وبسط في غير هذا الوضع

وهكذا يكذب قوم من النساك ومدعي الحقائق على أبي بكر وغيره وأن النبي ﷺ كان يخاطبه بحقائق لا يفهمها عمر مع حضوره. ثم قد يدعون انهم عرفوها وتكون حقيقتها زندقة والحادا . وكثير من هؤلاء الزنادقة والجهال قد يحتج على ذلك بحديث ابي هريرة « حفظت عن رسول الله ﷺ جرابين اما احدهما فبثثته فيكم. وأما الآخر فلو بثثته لقطعتم هذا الحلقوم» وهذا الحديث صحيح ، لكن الجراب الآخر لم يكن فيه شيء من علم الدين ومعرفة الله وتوحيده الذي يختص به أولياؤه ، ولم يكن أبو هريرة من أكابر الصحابة الذين يخصون بمثل ذلك لو كان هذا مما يخص به ، بل كان في ذلك الجراب أحاديث الفتن التي تكون بين المسلمين، فان النبي ﷺ أخبرهم بما سيكون من الفتن بين المسلمين ، ومن الملاحم التي تكون بينهم وبين الكفار. ولهذا لما كان مقتل عثمان وفتنة ابن الزبير ونحو ذلك قال ابن عمر: لو أخبركم أبو هريرة انكم تقتلون خليفتكم وتهدمون البيت(١) وغير ذلك لقلتم : كذب أبو هريرة ، فكان أبو هريرة يمتنع من التحديث باحاديث الفتن قبل وقوعها لان ذلك مما لايحتمله رؤس الناس وعوامهم . وكذلك يحتجون بحديث حذيفة بن اليمان وانه صاحب السر الذي لا يعلمه غيره، وحديث حذيفة معروف، لكن السر الذي لا يعلمه غيره هو معرفته باعيان المنافقين الذين كانوا في غزوة تبوك .ويقال: انهم كانوا هموا

---

(١) بل قال أبو هريرة نفسه لو قلت لكم انكم تحرقون بيت ربكم وتقتلون ابن نبيكم لقلتم لا أكذب من أبي هريرة . وقد كان قتل الحسين عليه السلام بعد موت أبي هريرة وانما كان يخاف قطع حلقومه من بني أمية

بالفتك بالنبي ﷺ فأوحى إلى النبي ﷺ أمرهم ، فاخبر حذيفة باعيانهم . ولهذا كان عمر لا يصلي إلا على من صلى عليه حذيفة، لان الصلاة على المنافقين منهي عنها

وقد ثبت في الصحيح عن حذيفة انه لما ذكر الفتن وانه أعلم الناس بها بين ان النبي ﷺ لم يخصه بحديثها ولكن حدث الناس كلهم، قال «وكان أعلمنا احفظنا »

ومما يبين هذا أن في السنن ان النبي ﷺ كان عام الفتح قد اهدر دم جماعة: منهم عبد الله بن أبي سرح ، فجاء به عثمان إلى النبي ﷺ ليبايعه، فتوقف عنه النبي ﷺ ساعة، ثم بايعه وقال «أما كان فيكم رجل رشيد ينظر إلي وقد أمسكت عن هذا فيضرب عنقه» فقال رجل من الانصار . يارسول الله ، هلا أومأت إلي؟ فقال « ماينبغي لنبي ان تكون له خائنة الاعين» فهذا ونحوه مما يبين ان النبي ﷺ يستوي ظاهره وباطنه، لا يظهر للناس خلاف مايبطنه، كما تدعيه الزنادقة من المتفلسفة والقرامطة وضلال المتنسكة ونحوهم

(السابع) انه «قال ومنا من علم فلم يقل مثل هذا ، وهو أعلى القول ، بل أعطاه العلم والسكوت ما أعطاه العجز . وهذا هو أعلا عالم بالله . وليس هذا العلم إلا لخاتم الرسل وخاتم الاولياء، وما يراه أحد من الاولياء والرسل الا من مشكاة الرسول الخاتم ، ولا يراه أحد من الاولياء الا من مشكاة الولي الخاتم. حتى إن الرسل لا يرونه متى رأوه الا من مشكاة خاتم الاولياء . فان الرسالة والنبوة أعني نبوة التشريع ورسالته ينقطعان، والولاية لا تنقطع ابداً. فالمرسلون من كونهم أولياء لا يرون ما ذكرناه الا من مشكاة خاتم الاولياء فكيف من دونهم من الاولياء؟ وإن كان خاتم الاولياء تابعا في الحكم لما جاء به خاتم الرسل من التشريع فذلك لا يقدح في مقامه ولا يناقض ما ذهبنا اليه، فانه من وجه يكون أنزل كما أنه من وجه يكون أعلا ـ الى قوله ـ ولما مثل النبي ﷺ النبوة بالحائط من اللبن

في هذا الكلام من أنواع الالحاد والكفر وتنقيص الانبياء والرسل ما لا تقوله لا اليهود ولا النصارى . وما اشبهه في هذا الكلام بما ذكر في قول القائل : فخر عليهم السقف من تحتهم ان هذا لا عقل ولا قرآن. وكذلك ما ذكره هنا من أن الانبياء والرسل تستفيد من خاتم الاولياء الذي بعدهم هو مخالف للعقل فان المتقدم لا يستفيد من المتأخر. ومخالف للشرع ، فانه معلوم بالاضطرار من دين الاسلام أن الانبياء والرسل أفضل من الاولياء الذين ليسوا أنبياء ولا رسلا. وقد يزعم ان هذا العلم الذي هو عنده أعلى العلم وهو القول بوحدة الوجود، وان وجود الخالق هو وجود المخلوق وهو تعطيل الصانع حقيقة وجحده، وهو القول الذي يظهره فرعون. فلم يكفه زعمه ان هذا حق ،حتى زعم انه أعلا العلم، ولم يكفه ذلك حتى زعم ان الرسل إنما يرونه من مشكاة خاتم الاولياء . فجعل خاتم الاولياء أعلم بالله من جميع الانبياء والرسل، وجعلهم يرون العلم بالله من مشكاته

ثم أخذ يبين ذلك فقال: فان الرسالة والنبوة اعني نبوة التشريع ورسالته ينقطعان والولاية لا تنقطع ابداً . فالمرسلون من كونهم أولياء لا يرون ما ذكرناه الا من مشكاة خاتم الاولياء ، وذلك انه لم يمكنهم أن يجعلوا بعد النبي ﷺ نبيا ورسولا فان هذا كفر ظاهر ، فزعموا انه إنما تنقطع نبوة التشريع ورسالته، يعني وأما نبوة التحقيق ورسالة التحقيق وهي الولاية عندهم فلم تنقطع، وهذه الولاية عندهم هي أفضل من النبوة والرسالة، ولهذا قال ابن عربي في بعض كلامه:

مقام النبوة في برزخ فويق الرسول ودون الولي

وقال في الفصوص في (كلمة عزيرية) «فاذا سمعت أحداً من أهل الله تعالى يقول أو ينقل اليك عنه انه قال الولاية أعلى من النبوة فليس يريد ذلك القائل إلا ما ذكرناه، أو يقول: إن الولي فوق النبي والرسول فانه يعني بذلك في شخص واحد، وهو أن الرسول عليه السلام من حيث هو ولي أتم منه من حيث هو نبي ورسول ، لا أن

الولي التابع له أعلا منه ، فان التابع لا يدرك المتبوع أبداً فيما هو تابع له فيـه [١] إذ لو أدركه لم يكن تابعا له » . وإذا حوققوا على ذلك قالوا : ان ولاية النبي فوق نبوته وإن نبوته فوق رسالته ، لانه يأخذ بولايته عن الله ، ثم يجعلون مثل ولايته ثابتة لهم ، ويجعلون ولاية خاتم الاولياء أعظم من ولايته، وأن ولاية الرسول تابعة لولاية خاتم الاولياء الذي ادعوه»

وفي هذا الكلام أنواع قد بيناها في غير هذا الموضع (منها) أن دعوى المدعي وجود خاتم الاولياء على ما ادعوه باطل لا أصل له ،ولم يذكر هذا أحد من المعروفين قبل هؤلاء إلا أبو عبد الله محمد بن علي الترمذي الحكيم في كتاب (ختم الولاية) وقد ذكر في هذا الكتاب ماهو خطأ وغلط مخالف للكتاب والسنة والاجماع وهو رحمه الله تعالى وإن كان فيه فضل ومعرفة ومن الكلام الحسن المقبول والحقائق النافعة أشياء محمودة ففي كلامه من الخطأ ما يجب رده ومن أشنعها ماذكره في ختم الولاية،مثل دعواه فيه انه يكون في المتأخرين من درجته عند الله أعظم من درجة أبي بكر وعمر وغيرهما.ثم انه تناقض في موضع آخر لما حكى عن بعض الناس ان الولي يكون منفرداً عن الناس،فابطل ذلك واحتج بابي بكر وعمر وقال يلزم هذا أن يكون أفضل من ابي بكر وعمر،وأبطل ذلك(ومنها) انه ذكر في كتابه ما يشعر ان ترك الاعمال الظاهرة ولو أنها التطوعات المشروعة أفضل في حق الكامل ذي الاعمال القلبية وهذا أيضا خطأ عند أئمة الطريق ، فان أكمل الخلق رسول الله ﷺ وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وما زال محافظا على ما

(١) هـامش الاصل ما نصه : قوله فيما هو تابع له فيه ، كانه يريد ما يزعم من انه تابع للنبي ﷺ في الشرع الظاهر . وأما الباطن فلا ، لانه يزعم ان خاتم الانبياء وجميع الانبياء والرسل يأخذون من مشكاته ، فهو عند نفسه أعلى منهم في ذلك . قبحه الله . انتهى من خط الشيخ أحمد بن ابراهيم بن عيسى رحمه الله

يمكنه من الاوراد والتطوعات البدنيه الى مماته (ومنها) ما ادعاه من خاتم الاولياء الذي يكون في آخر الزمان وتفضيله وتقديمه على من تقدم من الاولياء، وانه يكون معهم كخاتم الانبياء مع الانبياء. وهذا ضلال واضح. فان أفضل اولياء الله من هذه الامة ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وامثالهم من السابقين الاولين من المهاجرين والانصار، كما ثبت ذلك بالنصوص المشهورة. وخير القرون قرنه ﷺ كما في الحديث الصحيح « خير القرون القرن الذين بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » وفي الترمذي وغيره أنه قال في ابي بكر وعمر « هذان سيدا كهول أهل الجنة من الاولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين » قال الترمذي حديث حسن وفي صحيح البخاري عن علي عليه السلام انه قال له ابنه يا أبت، من خير الناس بعد رسول الله ﷺ؟ فقال « يا بني ابو بكر » قال: ثم من ؟ قال « ثم عمر » وروى بضع وثمانون نفسا عنه انه قال « خير هذه الامة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر »

وهذا باب واسع وقد قال تعالى (فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) وهذه الاربعة هي مراتب العباد: أفضلهم الانبياء ثم الصديقون ثم الشهداء ثم الصالحون. وقد نهى النبي ﷺ ان يفضل أحدنا نفسه على يونس ابن متى مع قوله (ولا تكن كصاحب الحوت) وقوله (وهو مليم) تنبيها على ان غيره أولى أن لا يفضل أحد نفسه عليه. في صحيح البخاري عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال « لا يقولن أحدكم اني خير من يونس بن متى » وفي صحيح البخاري أيضا عنه قال قال رسول الله ﷺ « ما ينبغي لعبد أن يكون خيرا من يونس بن متى » وفي لفظ « أن يقول أنا خير من يونس بن متى » وفي البخاري أيضا عن ابي هريرة عن النبي ﷺ قال « من قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب » وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ انه قال - يعني رسول الله « لا ينبغي لعبد ان يقول انا خير من يونس بن متى » وفي الصحيحين عن ابن عباس

عن النبي ﷺ - وفي لفظ : فيما يرويه عن ربه «لا ينبغي لعبد أن يقول انا خير من يونس بن متى » وهذا فيه نهي عام

وأما مايرويه بعض الناس «لاتفضلوني على يونس بن متى» ويفسره باستواء حال صاحب المعراج وصاحب الحوت فنقل باطل وتفسير باطل . وقد قال النبي ﷺ «اثبت حراء فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد » وأبو بكر أفضل الصديقين

ولفظ خاتم الاولياء لايوجد في كلام أحد من سلف الامة ولا أئمتها ولا له ذكر في كتاب الله ولا سنة رسوله. وموجب هذا اللفظ انه آخر مؤمن تقي، فان الله يقول (ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون) الآية(١) فكل من كان مؤمنا «تقيا» كان لله ولياً ، وهم على درجتين: السابقون المقربون وأصحاب اليمين المقتصدون، كما قسمهم الله تعالى في سورة فاطر ، وسورة الواقعة ، والانسان ، والمطففين

وفي صحيح البخاري عن ابي هريرة عن النبي ﷺ انه قال «يقول الله تعالى: من عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة ، وما تقرب إلى عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به. ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وما ترددت عن شيء انا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت واكره مساءته ولا بدله منه» فالمتقربون إلى الله بالفرائض هم الابرار المقتصدون أصحاب اليمين، والمتقربون اليه بالنوافل التي يحبها بعد الفرائض هم السابقون المقربون؛ وإنما تكون النوافل بعد الفرائض . وقد قال أبو بكر الصديق في وصيته لعمر بن الخطاب «اعلم ان لله عليك حقا بالليل لايقبله بالنهار، وحقا بالنهار لايقبله بالليل، وانها لاتقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة

والاتحادية يزعمون ان قرب النوافل يوجب أن يكون عين الحق عين أعضائه، وأن

(١) يعني الآية التي بعد هذه المفسرة للاولياء بالمؤمنين المتقين

قرب الفرائض يوجب ان يكون الحق عين وجوده كله. وهذا فاسد من وجوه كثيرة، بل كفر صريح كما بيناه في غير هذا الموضع. واذا كان خاتم الاولياء آخر مؤمن تقي في الدنيا فليس ذلك الرجل أفضل الاولياء ولا أكملهم بل أفضلهم وأكملهم سابقوهم الذين هم أخص بأفضل الرسل من غيرهم، فانه كلما كان الولي أعظم اختصاصا بالرسول وأخذا عنه وموافقة له كان أفضل، اذ الولي لا يكون ولياً لله الا بمتابعة الرسول باطناً وظاهراً. فعلى قدر المتابعة للرسول يكون قدر الولاية لله

و لاولياء وان كان فيهم محدَّث كما ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال «انه كان في الامم قبلكم محدَّثون فان يكن في أمتي فعمر» فهذا الحديث يدل على أن أول المحدثين من هذه الامة عمر وأبو بكر أفضل منه، اذ هو الصديق والمحدث وان كان يلهم ويحدث من جهة الله تعالى فعليه أن يعرض ذلك على الكتاب والسنة فانه ليس بمعصوم كما قال أبو الحسن الشاذلي: قد ضمنت لنا العصمة فيما جاء به الكتاب والسنة ولم تضمن لنا العصمة في الكشوف والالهام. ولهذا كان عمر بن الخطاب وقافا عند كتاب الله وكان ابو بكر الصديق يبين أشياء تخالف مايقع له كما بين له يوم الحديبية ويوم موت النبي ﷺ ويوم قتال مانعي الزكاة وغير ذلك، وكان عمر بن الخطاب يشاور الصحابة فتارة يرجع اليهم وتارة يرجعون اليه وربما قال القول وترد عليه امرأة من المسلمين قوله وتبين له الحق فيرجع اليها ويدع قوله كما قدر الصداق، وربما يرى رأيا فيذكر له حديث عن النبي ﷺ فيعمل به ويدع رأيه وكان يأخذ بعض السنة عمن هو دونه في قضايا متعددة، وكان يقول القول فيقال له: أصبت فيقول: مايدري عمر أصاب الحق أم أخطاه. فاذا كان هذا امام المحدثين، فكل ذي قلب يحدثه قلبه عن ربه الى يوم القيامة هو دون عمر فليس فيهم معصوم بل الخطأ يجوز عليهم كلهم وان كان طائفة تدعي أن الولي محفوظ وهو نظير مايثبت للانبياء من العصمة، والحكيم الترمذي قد أشار إلى هذا ـ فهذا

باطل مخالف للسنة والاجماع ، ولهذا اتفق السلمون على أن كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ وان كانوا متفاضلين في الهدى والنور والاصابة،ولهذا كان الصديق أفضل من المحدث ، لان الصديق يأخذمن مشكاة النبوة فلا يأخذ إلا شيئا معصوما محفوظا ، واما المحدث فيقع له صواب وخطأ ، والكتاب والسنة تميز صوابه من خطئه . وبهذا صار جميع الاولياء مفتقرين إلى الكتاب والسنة ، لابد لهم أن يزنوا جميع امورهم بآثار الرسول ، فما وافق آثارالرسول فهو الحق وما خالف ذلك فهو باطل وان كانوا مجتهدين فيه والله تعالى يثيبهم على اجتهادهم ويغفر لهم خطأهم .

ومعلوم ان السابقين الاولين أعظم اهتداء واتباعا للآثارالنبوية فهم أعظم إيمانا وتقوى. وأما آخر الاولياء فلا يحصل له مثل ماحصل لهم .

والحديث الذي يروى « مثل أمتي كمثل الغيث لايدرى أوله خير أو آخره » قد تكلم في إسناده ، وبتقدير صحته انما معناه بما في آخر الامة من يقارب أولها(١) حتى يشتبه على بعض الناس أيهما خير كما يشتبه على بعض الناس طرفا الثوب، مع القطع بأن الاول خير من الآخر ولهذا قال «لا يدرى» ومعلوم أن هذا السلب ليس عاما لها فانه لابد أن يكون معلوما أيهما أفضل .

ثم ان هذا خاتم الاولياء صار مرتبة موهومة لاحقيقة له وصار يدعيها لنفسه أو لشيخه طوائف ، وقد ادعاها غير واحد ولم يدعها إلا من في كلامه من الباطل مالم تقله اليهود ولا النصارى ، كما ادعاها صاحب الفصوص ، وتابعه صاحب الكلام في

---

(١) فيه معنى آخر ، وهو ان هذا الخير في المتأخر نسبي وهو ان القليل منه يعد كثيراً بالنسبة الى فساد زمنه . ويدل عليه أحاديث: منها انه عندما يجاهر الناس بالزنا في الطرق يقول قائلهم : ما ضر هذين لو استترا وراء هذا الجدار ـ وهو يعد كأبي بكر وعمر فيكم

الحروف ، وشيخ من أتباعهم كان بدمشق، وآخر كان يزعم انه المهدي الذي يزوج بنته بعيسى بن مريم ، وانه خاتم الاولياء . ويدعي هؤلاء وأشباههم من الامور ما لا يصلح الا لله وحده ، كما قد يدعي المدعي منهم لنفسه أو لشيخه ما ادعته النصاري في المسيح

ثم صاحب الفصوص وأمثاله بنوا الامر على أن الولي يأخذ عن الله بلا واسطة ، والنبي يأخذ بواسطة الملك ، فلهذا صار خاتم الاولياء أفضل عندهم من هذه الجهة ، وهذا باطل وكذب، فان الولي لا ياخذ عن الله إلا بواسطة الرسول اليه ، وإذا كان محدثا قد ألقي اليه شيء وجب عليه أن يزنه بما جاء به الرسول من الكتاب والسنة ،

وتكليم الله لعباده على ثلاثة أوجه : من وراء حجاب كما كلم موسى ، وبارسال رسول كما أرسل الملائكة الى الانبياء ، وبالايحاء ، وهذا فيه للولي نصيب ، وأما المرتبتان الاوليان فانهما للانبياء خاصة ، والاولياء الذين قامت عليهم الحجة بالرسل لا ياخذون علم الدين إلا بتوسط رسل الله اليهم، ولولم يكن الا عرضه على ماجاء به الرسول(١) ولن يصلوا في أخذهم عن الله الى مرتبة نبي أو رسول، فكيف يكونون آخذين عن الله بلا واسطة ويكون هذا الاخذ أعلى وهم لا يصلون الى مقام تكليم موسى ولا الى مقام نزول الملائكة عليهم كما نزلت على الانبياء ، وهذا دين المسلمين واليهود والنصارى

وأما هؤلاء الجهمية الاتحادية فبنوا على اصلهم الفاسد : ان الله هو الوجود المطلق الثابت لكل موجود ، وصار ما يقع في قلوبهم من الخواطر ـ وان كانت

(١) كذا ولعل جواب لو سقط من الناسخ أو حذف للعلم به . وفيه انهم يعترفون بهذا الاخذ لاحكام التشريع الظاهرة دون الحقائق الباطنة التي يدعونها ويطلقونها على فلسفتهم وخيالاتهم الباطلة

من وساوس الشيطان - يزعمون انهم أخذوا ذلك عن الله بلا واسطة ، وانهم يكلّمون كما كلم موسى بن عمران ، وفيهم من يزعمون ان حالهم أفضل من حال موسى ابن عمران ، لان موسى سمع الخطاب من الشجرة وهم على زعمهم يسمعون الخطاب من حي ناطق كما يذكر عن صاحب الفصوص انه قال:

وكل كلام في الوجود كلامه　　سواء علينا نثره ونظامه

وأعانهم على ذلك ما اعتقدوه من مذاهب الجهمية وأتباعهم الذين يزعمون أن تكليم الله لموسى انما كان من جنس الالهام ، وان العبد قد يرى الله في الدنيا اذا زال عن عينه المانع اذ لا حجاب عندهم الرؤية منفصل عن العبد ، وانما الحجاب متصل به ، فاذا ارتفع شاهد الحق ، وهم لا يشاهدون الا مايتمثلونه من الوجود المطلق الذي لا حقيقة له الا في أذهانهم ، ومن الوجود المخلوق . فيكون الرب المشهود عندهم الذي يخاطبهم في زعمهم لاوجود له الا في أذهانهم او لا وجود له الا وجود المخلوقات . هذا هو التعطيل للرب تعالى ولكتبه ولرسله ، والبدع دهليز الكفر والنفاق ، كما ان التشيع دهليز الرفض ، والرفض دهليز القرمطة والتعطيل ، فالكلام الذي فيه تجهم دهليز الزندقة والتعطيل . وقد ثبت في صحيح مسلم عن النبي ﷺ انه قال « واعلموا أن أحداً منكم لن يرى ربه حتى يموت » ولهذا اتفق سلف الامة وأئمتها على أن الله يُرى في الآخرة ، وانه لا يراه أحد في الدنيا بعينه .

وفي رؤية النبي ﷺ ربه كلام معروف لعائشة وابن عباس ، فعائشة أنكرت الرؤية ، وابن عباس ثبت عنه في صحيح مسلم انه قال : رأى محمد ربه بفؤاده مرتين . وكذلك ذكر أحمد عن أبي ذر وغيره انه أثبت رؤيته بفؤاده . وهذا المنصوص عن ابن عباس وأبي ذر وغيرهما هو المنصوص عن أحمد وغيره من أئمة السنة ، ولم يثبت عن أحد منهم إثبات الرؤية بالعين في الدنيا ، كما لم يثبت عن أحد منهم انكار الرؤية في الآخرة ، ولكن كلا القولين تقول به طوائف من الجهمية ، فالنفي يقول به متكلمة الجهمية ،

والاثبات يقول به بعض متصوفة الجهمية كالاتحادية وطائفة من غيرهم، وهؤلاء الاتحادية يجمعون بين النفي والاثبات، كما يقول ابن سبعين: عين ما ترى ذات لا ترى، وذات لا ترى عين ما ترى. ونحو ذلك، لان مذهبهم مستلزم الجمع بين النقيضين، فهم يقولون في عموم الكائنات ما قالته النصارى في المسيح، ولهذا تنوعوا في ذلك تنوع النصارى في المسيح

ومن الانواع التي في دعواهم ان خاتم الاولياء افضل من خاتم الانبياء من بعض الوجوه، فان هذا لم يقله أبو عبد الله الحكيم الترمذي ولا غيره من المشايخ المعروفين، بل الرجل اجل قدراً وأعظم ايمانا من ان يفتري هذا الكفر الصريح، ولكن اخطأ شبراً، ففرعوا على خطئه ما صار كفراً.

وأعظم من ذلك زعمه ان الاولياء والرسل من حيث ولايتهم تابعون لخاتم الاولياء وأخذوا من مشكاته، فهذا باطل بالعقل والدين، فان المتقدم لا ياخذ من المتأخر، والرسل لا ياخذون من غيرهم. وأعظم من ذلك انه جعلهم تابعين له في العلم بالله الذي هو أشرف علومهم، وأظهر من ذلك انه جعل العلم بالله هو مذهب أهل وحدة الوجود القائلين بان وجود المخلوق هو عين وجود الخالق

فليتدبر المؤمن هذا الكفر القبيح درجة بعد درجة. واستشهاده على تفضيل غير النبي عليه بقصة عمر وتابير النخل، فهل يقول مسلم ان عمر كان أفضل من النبي ﷺ برأيه في الاسرى؟ وان الفلاحين الذين يحسنون صناعة التأبير أفضل من الانبياء في ذلك؟ ثم ما قنع بذلك حتى قال: فما يلزم الكامل أن يكون له التقدم في كل علم وكل مرتبة، وانما نظر الرجال الى التقدم في مرتبة العلم بالله، هنالك مطلبهم —

فقد زعم انه أعلم بالله من خاتم الانبياء، وان تقدمه عليه بالعلم بالله، وتقدم خاتم الانبياء عليه بالتشريع فقط. وهذا من أعظم الكفر الذي يقع فيه غالية المتفلسفة

وغالية المتصوفة وغالية المتكلمة الذين يزعمون انهم في الامور العلمية أكمل من الرسل، كالعلم بالله ونحو ذلك، وان الرسل انما تقدموا عليهم بالتشريع العام الذي جعل لصلاح الناس في دنياهم. وقد يقولون ان الشرائع قوانين عدلية وضعت لمصلحة الدنيا ، فأما المعارف والحقائق والدرجات العالية في الدنيا والآخرة فيفضلون فيها أنفسهم وطرقهم على الانبياء وطرق الانبياء

وقد علم بالاضطرار من دين المسلمين ان هذا من أعظم الكفر والضلال، وكان من سبب جحد حقائق ما أخبرت به الرسل من أمر الايمان بالله واليوم الآخر وزعمهم ان ما يقوله هؤلاء في هذا الباب هو الحق وصاروا في أخبار الرسل ، تارة يكذبونها، وتارة يحرفونها، وتارة يفوضونها، وتارة يزعمون أن الرسل كذبوا لمصلحة العموم .

ثم عامة الذين يقولون هذه المقالات يفضلون الانبياء والرسل على انفسهم الا الغالية منهم كما تقدم ، فهؤلاء من شر الناس قولا واعتقاداً

وقد كان عندهم شيخ من أجهل الناس كان يعظمه طائفة من الاعاجم ويقال انه خاتم الاوليا ، يزعم انه يفسر العلم بوجهين، وان النبي ﷺ انما فسره بوجه واحد وانه هو أكمل من النبي ﷺ وهذا تلقاه من صاحب الفصوص وأمثال هذا في هذه الاوقات كثير ، وسبب ضلال المتفلسفة وأهل التصوف والكلام الموافقة لضلالهم، وليس هذا موضع الاطناب في بيان ضلال هذا وانما الغرض التنبيه على ان صاحب الفصوص وأمثاله قالوا قول هؤلا

فأما كفر من يفضل نفسه على النبي ﷺ كما ذكر صاحب الفصوص فظاهر ولكن من هؤلا من لا يرى ذلك ولكن يرى ان له طريقا الى الله غير اتباع الرسول ، ويسوغ لنفسه اتباع تلك الطريق وان خالف شرع الرسول، ويحتجون بقصة موسى والخضر

ولا حجة فيها لوجهين (أحدهما) ان موسى لم يكن مبعوثا الى الخضر ولا

كان يجب على الخضر اتباع موسى فان موسى، كان مبعوثا الى بني اسرائيل ولهذا جاء في الحديث الصحيح « ان موسى لما سلم على الخضر قال: وأنى بأرضك السلام؟ قال أنا موسى، قال: موسى بني اسرائيل؟ قال نعم، قال انك على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه. وأنا على علم من الله علمنيه لا تعلمه » ولهذا قال نبينا ﷺ « فضلنا على الناس بخمس: جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة، وجعلت لي الارض مسجداً وطهوراً، فأي رجل أدركته الصلاة فعنده مسجده وطهوره، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة [1] » وقد قال تعالى (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً) وقال تعالى (قل يا أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعاً) الآية

فمحمد ﷺ رسول الله إلى جميع الثقلين: إنسهم وجنهم، عربهم وعجمهم، ملوكهم وزهادهم، الاولياء منهم وغير الاولياء. فليس لأحد الخروج عن متابعته باطناً وظاهراً، ولا عن متابعة ما جاء به من الكتاب والسنة في دقيق ولا جليل، لا في العلوم ولا الاعمال، وليس لأحد أن يقول له كما قال الخضر لموسى، وأما موسى فلم يكن مبعوثاً إلى الخضر

(الثاني) ان قصة الخضر ليس فيها مخالفة للشريعة بل الامور التي فعلها تباح في الشريعة، إذا علم العبد أسبابها كما علمها الخضر، ولهذا لما بين أسبابها لموسى وافقه على ذلك، ولو كان مخالفا لشريعته لم يوافقه بحال.

وقد بسطنا هذا في غير هذا الموضع. فان خرق السفينة مضمونه ان المال المعصوم يجوز للانسان أن يحفظه لصاحبه باتلاف بعضه فان ذلك خير من ذهابه بالكلية كما جوز للراعي على عهد النبي ﷺ أن يذبح الشاة التي خاف عليها الموت. وقصة الغلام مضمونها جواز قتل الصبي الصائل، ولهذا قال ابن عباس: وأما الغلمان فان كنت تعلم منهم ما علمه الخضر من ذلك الغلام فاقتلهم وإلا فلا تقتلهم. وأما إقامة الجدار

(١) لم يذكر الخامسة، وفي بعض الاحاديث هي « ونصرت بالرعب مسيرة شهر »

ففيها فعل المعروف بلا أجرة مع الحاجة إذا كان لذرية قوم صالحين

***

(الوجه الثامن) أنه قال: ولما مثل النبي ﷺ النبوة بالحائط الى آخر كلامه وهو متضمن ان العلم نوعان (أحدهما) علم الشريعة وهو يأخذه عن الله كما يأخذ النبي فانه قال والسبب الموجب لكونه رآها لبنتين أنه تابع لشرع خاتم الرسل في الظاهر وهو موضع اللبنة الفضية وهو ظاهره وما يتبعه فيه من الاحكام كما هو آخذ عن الله في السر ما هو بالصورة الظاهرة متبع فيه لانه يرى الامر على ماهو عليه فلا بد ان يراه هكذا ،

وهذا الذي زعمه من ان الولي يأخذ عن الله في السر مايتبع فيه الرسل كأئمة العلماء مع أتباعهم ، فيه من الاتحاد ما لايخفى على من يؤمن بالله ورسله ، فان هذا يدعي انه أوتي مثل ما أوتي رسل الله ، ويقول انه أوحي إلي ولم يوح اليه شيء ، ويجعل الرسل بمنزلة معلمي الطب والحساب والنحو وغير ذلك إذا عرف المتعلم الدليل الذي قال به معلمه فينبغي موافقته لمشاركته له في العلم لالانه رسول وواسطة من الله اليه في تبليغ الامر والنهي . وهذا الكفر يشبه كفر مسيلمة الكذاب ونحوه ممن يدعي انه مشارك للرسول في الرسالة ، وكان يقول مؤذنه أشهد أن محمداً ومسيلمة رسولا الله

(والنوع الثاني) علم الحقيقة وهو فيه فوق الرسول كما قال هو موضع اللبنة الذهبية في الباطن ، فانه أخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحي به الى الرسول، فقد ادعى ان هذا العلم الذي هو موضع اللبنة الذهبية وهو علم الباطن والحقيقة هو فيه فوق الرسول لانه يأخذه من حيث يأخذ الملك العلم الذي يوحي به إلى الرسول، والرسول يأخذه من الملك ، وهو أخذه من فوق الملك ، من حيث يأخذه الملك ، وهذا فوق دعوى مسيلمة الكذاب، فان مسيلمة لم يدع انه أعلا من الرسول في علم من العلوم الالهية، وهذا ادعى انه فوقه في العلم بالله

ثم قال : فان فهمت ما أشرت به فقد حصل لك العلم النافع . ومعلوم ان هذا الكفر فوق كفر اليهود والنصارى فان اليهود والنصارى لا ترضى أن تجعل أحداً من المؤمنين فوق موسى وعيسى ، وهذا يزعم هو وأمثاله ممن يدعي انه خاتم الاولياء انه فوق جميع الرسل ، وأعلم بالله من جميع الرسل ، وعقلاء الفلاسفة لا يرضون بهذا وانما يقول مثل هذا غلاتهم وأهل الحق منهم الذين هم من أبعد الناس عن العقل والدين.

* * *

(التاسع) قوله : فكل نبي من لدن آدم - إلى آخر الفصل - تضمن أن جميع الانبياء والرسل لا يأخذون إلا من مشكاة خاتم النبيين ، ليوطن نفسه بذلك أن جميع الانبياء لا يأخذون إلا من مشكاة خاتم الاولياء ، وكلاهما ضلال ، فان الرسل ليس منهم من يأخذ من آخر إلا من كان مأموراً باتباع شريعته كأنبياء بني اسرائيل والرسل الذين فيهم الذين أمروا باتباع التوراة كما قال تعالى (إنا انزلنا التوراة فيها هدى ونور) الآية

وأما ابراهيم فلم يأخذ عن موسى ، وعيسى ، ونوح لم يأخذ عن ابراهيم ، ونوح وابراهيم وموسى وعيسى لم يأخذوا عن محمد وان بشروا به وآمنوا به كما قال تعالى (واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة) الآية قال ابن عباس : ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه العهد في أمر محمد وأخذ العهد على قومه ليؤمنن به ، ولئن بعث وهم أحياء لينصرنه

* * *

(العاشر) قوله : فان تحقيقه موجود ، وهو قوله « كنت نبياً وآدم بين الماء والطين » بخلاف غيره من الانبياء ، وكذلك خاتم الاولياء كان ولياً وآدم بين الماء والطين . - كذب واضح مخالف لاجماع أئمة الدين ، وإن كان هذا يقوله طائفة من أهل الضلال والالحاد ، فان الله علم الاشياء وقدرها قبل أن يكونها ،

ولا تكون موجودة بحقائقها إلاحين توجد ولا فرق في ذلك بين الانبياء وغيرهم ، ولم تكن حقيقته ﷺ موجودة قبل أن يخلق إلا كما كانت حقيقة غيره بمعنى أن الله علمها وقدرها ، لكن كان ظهور خبره واسمه مشهوراً أعظم من غيره فانه كان مكتوباً في التوراة والانجيل وقبل ذلك ، كما روى الامام أحمد في مسنده عن العرباض بن سارية ، عن النبي ﷺ قال « إني لعبد الله مكتوب خاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته وسأنبئكم بأول ذلك: دعوة أبي ابراهيم وبشرى عيسى ورؤيا أمي ، رأت حين ولدتني كأنها خرج منها نوراً ضاءت له قصور الشام » وحديث ميسرة الفجر: قلت يارسول الله ، متى كنت نبياً ؟ وفي لفظ متى كتبت نبياً ؟ قال « وآدم بين الروح والجسد » وهذا لفظ الحديث

وأما قوله « كنت نبياً وآدم بين الماء والطين » فلا أصل له ، لم يروه أحد من أهل العلم بالحديث بهذا اللفظ وهو باطل ، فانه لم يكن بين الماء والطين إذ الطين ماء وتراب ، ولكن لما خلق الله جسد آدم قبل نفخ الروح فيه كتب نبوة محمد ﷺ وقدرها ، كما ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود قال حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق « ان خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث اليه الملك فيؤمر بأربع كلمات ، فيقال: اكتب رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد ، ثم ينفخ فيه الروح » وروي انه كتب اسمه على ساق العرش ومصاريع الجنة (١) فاين الكتاب والتقدير من وجود الحقيقة؟ ومايروي في هذا الباب من الاحاديث هو من هذا الجنس مثل كونه كان نوراً يسبح حول العرش أو كوكباً يطلع في السماء ونحو ذلك كما ذكره ابن حمويه صاحب ابن عربي وذكر بعضه عمر الملا في وسيلة المتعبدين وابن سبعين وأمثالهم ممن يروي الموضوعات

---

(١) اشار بقوله « يروي » الى أن هذا ضعيف غير صحيح كالذي قبله واما « كنت نبيا وآدم بين الماء والطين » فانه باطل رواية ومعنى

المكذوبات باتفاق أهل المعرفة بالحديث . فان هذا المنى رووا فيه أحاديث كلها كذب حتى انه اجتمع بي قديما شيخ معظم من أصحاب ابن حمويه يسميه أصحابه سلطان الاقطاب وتفاوضنا في كتاب الفصوص وكان معظما له ولصاحبه حتى أبديت له بعض مافيه فهاله ذلك وأخذ يذكر مثل هذه الاحاديث فبينت له أن هذا كله كذب .

*
* *

(الحادي عشر) قوله : وخاتم الولاية كان وليا وآدم بين الماء والطين ـ الى قوله ـ فخاتم الرسل من حيث ولايته نسبته مع الختم للولاية كنسبة الاولياء والرسل معه ـ الى آخر الكلام ـ ذكر فيه ماتقدم من كون رسول الله ﷺ مع هذا الختم المدعى كسائر الانبياء والرسل معه يأخذ من مشكاته العلم بالله الذي هو أعلا العلم وهو وحدة الوجود انه مقدم الجماعة وسيد ولد آدم في فتح باب الشفاعة . فعين حالا خاصا ما عم ـ الى قوله ـ ففاز محمد بالسيادة في هذا المقام الخاص اهـ فكذب على رسول الله ﷺ في قوله : انه قال : سيد ولد آدم في الشفاعة فقط لا في بقية المراتب » بخلاف الختم المفتري فانه سيد في العلم بالله وغير ذلك من المقامات

ولقد كنت أقول : لو كان المخاطب لنا ممن يفضل ابراهيم أو موسى أو عيسى على محمد ﷺ لكانت مصيبة عظيمة لايحملها المسلمون فكيف بمن يفضل رجلا من أمة محمد على محمد وعلى جميع الانبياء والرسل في أفضل العلوم ويدعي أنهم يأخذون ذلك من مشكاته ؟ وهذا العلم هو غاية الالحاد والزندقة . وهذا الفضل من أضل بني آدم وأبعدهم عن الصراط المستقيم ، وان كان له كلام كثير ومصنفات متعددة، وله معرفة باشياء كثيرة، وله استحواذ على قلوب طوائف من أصناف المتفلسفة والمتصوفه والمتكلمة والمتفقهة والعامة ، فان هذا الكلام من أعظم الكلام ضلالا عند أهل الكلام والايمان والله أعلم .

*
* *

وقد تبين ان في هذا الكلام من الكفر والتنقيص بالرسل والاستخفاف بهم والغض منهم والكفر بهم وبما جاؤا به مالا يخفى على مؤمن ، وقد حدثني أحد أعيان الفضلاء انه سمع الشيخ ابراهيم الجعبري رحمة الله عليه يقول : رأيت ابن عربي وهو شيخ نجس يكذب بكل كتاب أنزله الله وبكل نبي أرسله الله. ولقد صدق فيما قال ، ولكن هذا بعض الانواع التي ذكرها من الكفر، وكذلك قول أبي محمد بن عبد السلام: هو شيخ سوء مقبوح كذاب يقول بقدم العالم ولا يحرم فرجا هو حق عنه لكنه بعض أنواع ماذكره من الكفر، فإن قوله لم يكن قد تبين له حاله وتحقق، وإلا فليس عنده رب وعالم كما تقوله الفلاسفة الالهيون الذين يقولون بواجب الوجود، وبالعالم الممكن الوجود بل عنده وجود العالم هو وجود الله ، وهذا يطابق قول الدهرية الطبائعية الذين ينكرون وجود الصانع مطلقا ولا يقرون بوجود واجب غير العالم كما ذكر الله عن فرعون وذويه، وقوله مطابق لقول فرعون ، لكن فرعون لم يكن مقراً بالله وهؤلاء يقرون بالله، ولكن يفسرونه بالوجود الذي أقر به فرعون، فهم أجهل من فرعون وأضل ، وفرعون أكفر منهم، في كفره من العناد والاستكبار ماليس في كفرهم، كما قال تعالى (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا) وقال له موسى (لقد علمت ماأنزل هؤلاء إلا رب السموات والارض بصائر) وجماع أمر صاحب الفصوص وذويه هدم أصول الايمان الثلاثة فإن أصول الايمان : الايمان بالله والايمان برسله والايمان باليوم الآخر.

فأما الايمان بالله فزعموا ان وجوده وجود العالم ليس للعالم صانع غير العالم ، وأما الرسول فزعموا انهم أعلم بالله منه ومن جميع الرسل ، ومنهم من يأخذ العلم بالله الذي هو التعطيل ووحدة الوجود من مشكاته، وانهم يساوونه في أخذ العلم بالشريعة عن الله . وأما الايمان باليوم الآخر فقد قال :

فلم يبق إلا صادق الوعد وحده وبالوعيد الحق عين تعاين
وان دخلوا دار الشقاء فانهم على لذة فيها نعيم يباين

وهذا يذكر عن بعض أهل الضلال قبله انه قال : ان النار تصير لاهلها طبيعة نارية يتمتعون بها ، وحينئذ فلا خوف ولا محذور ولا عذاب لانه أمر مستعذب ثم انه في الامر والنهي عنده الآمر والناهي والمأمور والمنهي واحد ؛ ولهذا كان أول ماقاله في الفتوحات المكية التي هي أكبر كتبه :

الرب حق والعبد حق ياليت شعري من المكلف
إن قلت عبد فذاك رب أو قلت رب أني يكلف ؟

وفي موضع آخر فذاك ميت ، رأيته بخطه

وهذا مبني على اصله فان عنده ماثم عبد ولا وجود الا وجود الرب فمن المكلف؟ وعلى أصله هو المكلف كما يقولون ارسل من نفسه الى نفسه رسولا ، وكما قال ابن الفارض في قصيدته التي نظمها على مذهبهم وسماها نظم السلوك :

إليّ رسولا كنت مني مرسلا وذاتي بآياتي علي استدلت

ومضمونها هو القول بوحدة الوجود ومذهب ابن عربي وابن سبعين وامثالهم كما قال :

لها صلاتي بالمقام اقيمها وأشهد فيها انها لي صلت
كلانا مصل عابد ساجد الى حقيقة الجمع في كل سجدة(١)
وما كان لي صلى سواي فلم تكن صلاتي لغيري في أدا كل ركعة

الى قوله :

ومازلت إياها وإياي لم تزل ولا فرق بل ذاتي لذاتي أحبت

ومثل هذا كثير والله اعلم.

---

(١) البيت في ديوانه الذي بين الايدي هكذا :

كلانا مصل واحد ناظر الى حقيقته بالجمع في كل سجدة

وحدثني صاحبنا الفقيه الصوفي ابو الحسن علي بن قرباص انه دخل على الشيخ قطب الدين بن القسطلاني فوجده يصنف كتابا فقال : ماهذا ؟ فقال هذا في الرد على ابن سبعين وابن الفارض وابي الحسن الجربي والعفيف التلمساني ، وحدثني عن جمال الدين بن واصل وشمس الدين الاصبهاني انهما كانا ينكران كلام ابن عربي ويبطلانه ويردان عليه وان الاصبهاني رأي معه كتابا من كتبه فقال : ان اقتنيت شيئا من كتبه فلا تجيء إلي، او ماهذا معناه . وان ابن واصل لما ذكر كلامه في التفاحة التي انقلبت عن جوار معلم معها فقال: والله الذي لا إله الا هو يكذب. ولقد بر في يمينه .

وحدثني صاحبنا الفاضل أبو بكر بن سالار عن الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد شيخ وقته عن الامام ابي محمد بن عبدالسلام انهم سألوه عن ابن عربي، لما دخل مصر ، فقال: شيخ سوء مقبوح يقول بقدم العالم ولا يحرم فرجا ، وكان تقي الدين يقول : هو صاحب خيال واسع . حدثني بذلك غير واحد من الفقهاء ممن سمع كلام ابن دقيق العيد . وحدثني ابن بحير عن رشيد الدين سعيد وغيره انه قال: كان يستحل الكذب، هذا احسن أحواله، وحدثني الشيخ العالم العارف كمال الدين المراغي شيخ زمانه انه لما قدم وبلغه كلام هؤلاء في التوحيد قال : قرأت على العفيف التلمساني من كلامهم شيئا فرأيته مخالفا للكتاب والسنة ، فلما ذكرت ذلك له قال القرآن ليس فيه توحيد بل القرآن كله شرك، ومن اتبع القرآن لم يصل الى التوحيد، قال فقلت له: ما الفرق عندكم بين الزوجة والاجنبية والاخت والكل واحد ؟ قال لا فرق بين ذلك عندنا وانما هؤلاء المحجوبون اعتقدوه حراما فقلنا هو حرام عليهم عندهم، وأما عندنا فما ثم حرام

وحدثني كمال الدين بن المراغي انه لما تحدث مع التلمساني في هذا المذهب قل : وكنت أقرأ عليه في ذلك فانهم كانوا قد عظموه عندنا ونحن مشتاقون

إلى معرفة فصوص الحكم فلما صار يشرحه لي اقول هذا خلاف القرآن والاحاديث، فقال ارم هذا كله خلف الباب واحضر بقلب صاف حتى تتلقى هذا التوحيد — او كما قال — ثم خاف ان اشيع ذلك عنه فجاء الي باكياً وقال استر عني ما سمعته مني

وحدثني ايضاً كمال الدين انه اجتمع بالشيخ ابي العباس الشاذلي تلميذ الشيخ ابي الحسن فقال عن التلمساني: هؤلاء كفار هؤلاء يعتقدون ان الصنعة هي الصانع، قال وكنت قد عزمت على ان ادخل الخلوة على يده فقلت أنا لا آخذ عنه هذا وانما اتعلم منه ادب الخلوة، فقال لي: مثلك مثل من يريد ان يتقرب الى السلطان على يد صاحب الاتون والزبال فاذا كان الزبال هو الذي يقربه الى السلطان كيف يكون حاله عند السلطان ؟

وحدثنا أيضاً قال قال لي قاضي القضاة تقي الدين بن دقيق العيد انما استولت التتار على بلاد المشرق لظهور الفلسفة فيهم وضعف الشريعة، فقلت له في بلادكم مذهب هؤلاء الذين يقولون بالاتحاد وهو شر من مذهب الفلاسفة ؟ فقال قول هؤلاء لا يقوله عاقل بل كل عاقل يعلم فساد قول هؤلاء — يعني ان فساده ظاهر فلا يذكر هذا فيما يشتبه على العقلاء بخلاف مقالة الفلاسفة فان فيها شيئاً من المعقول وان كانت فاسدة

وحدثني تاج الدين الانباري الفقيه المصري الفاضل انه سمع الشيخ ابراهيم الجعبري يقول رأيت ابن عربي شيخا مخضوب اللحية وهو شيخ نجس يكفر بكل كتاب انزله الله، وكل نبي ارسله الله. وحدثني الشيخ رشيد الدين بن المعلم انه قال كنت وأنا شاب بدمشق اسمع الناس يقولون عن ابن عربي والخسروشاهي ان كلاهما زنديق — او كلاما هذا معناه — وحدثني عن الشيخ ابراهيم الجعبري انه حضر ابن الفارض عند الموت وهو ينشد:

إن كان منزلتي في الحب عندكم ما قد لقيت فقد ضيعت ايامي
أمنية ظفرت نفسي بها زمنا واليوم احسبها اصغاث احلام

وحدثني الفقيه الفاضل تاج الدين الزنباري انه سمع الشيخ ابراهيم الجعبري يقول رأيت في منامي ابن عربي وابن الفارض وهما شيخان اعميان يمشيان ويتعثران ويقولان: كيف الطريق ؟ اين الطريق؟ وحدثني شهاب الدين المزي عن شرف الدين بن الشيخ نجم الدين بن الحكيم عن ابيه انه قال قدمت دمشق فصادفت موت ابن عربي فرأيت جنازته كأنما ذر عليها الرماد فرأيتها لا تشبه جنائز الاولياء—اوقال—فعلمت ان هذا ؛ وعن ابيه عن الشيخ اسماعيل الكوراني انه كان يقول ابن عربي شيطان، وعنه انه كان يقول عن الحريري انه شيطان، وحدثني شهاب الدين عن القاضي شرف الدين البارلي ان اباه كان ينهاه عن كلام ابن عربي وابن الفارض وابن سبعين

فصل

في بعض مايظهر به كفرهم، وفساد قولهم . وذلك من وجوه (أحدها) ان حقيقة قولهم :ان الله لم يخلق شيئاً ولا ابتدعه ولا برأه ولا صوره ،لانه إذا لم يكن وجود إلا وجوده فمن الممتنع أن يكون خالقاً لوجود نفسه ، أو بارئاً لذاته، فان العلم بذلك من أبين العلوم وأبدهها للعقول ان الشيء لا يخلق نفسه ، ولهذا قال سبحانه (أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون؟) فانهم يعلمون انهم لم يكونوا مخلوقين من غير خالق ، ويعلمون أن الشيء لا يخلق نفسه . فتعين ان لهم خالقا ، وعند هؤلاء الكفار الملاحدة الفرعونية انه ماثم شيء يكون الرب قد خلقه وبرأه أو أبدعه إلا نفسه المقدسة ، ونفسه المقدسة لا تكون مخلوقة مربوبة مصنوعة مبروءة لامتناع ذلك في بدائه العقول ، وذلك من أظهر الكفر عند جميع أهل الملل، واما على رأي صاحب الفصوص فما ثم إلا وجوده والذوات الثابتة في العدم الغنية عنه ؛ووجوده لا يكون مخلوقا والذوات غنية عنه فلم يخلق الله شيئا

(الثاني) ان عندهم ان الله ليس رب العالمين ولا مالك الملك اوليس الا وجوده وهو لا يكون رب نفسه ولا يكون الملك المملوك هو الملك المالك ، وقد صرحوا بهذا الكفر مع تناقضه وقالوا انه هو ملك الملك، بناء على ان وجوده مفتقر إلى ذوات الاشياء ، وذوات الاشياء مفتقرة إلى وجوده ، فالاشياء مالكة لوجوده، فهو ملك الملك

(الثالث) ان عندهم ان الله لم يرزق أحداً شيئاً، ولا أعطى أحداً شيئاً، ولا رحم أحداً ، ولا أحسن الى احد، ولا هدى احدا، ولا انعم على احد نعمة، ولا علم احداً علما ولا علم احداً البيان، وعندهم في الجملة لم يصل منه الى احد لا خير ولا شر، ولا نفع ولا ضر، ولا عطاء ولا منع ، ولا هدى ولا اضلال أصلا. وان هذه الاشياء جميعها عين نفسه ومحض وجوده . فليس هناك غير يصل اليه، ولا أحد سواه ينتفع بها، ولا عبد يكون مرزوقا أو منصوراً أو مهديا

ثم على رأي صاحب الفصوص ان هذه الذوات ثابتة في العدم ، والذوات هي احسنت واساءت ، ونفعت وضرت ، وهذا عنده سر القدر. وعلى رأي الباقين ما ثم ذات ثابتة غيره أصلا، بل هو ذام نفسه بنفسه، ولاعن نفسه بنفسه، وهو المرزوق المضروب المشتوم ، وهو الناكح والمنكوح والآكل والمأكول ، وقد صرحوا بذلك تصريحاً بيناً

(الرابع) ان عندهم أن الله هو الذي يركع ويسجد ويخضع ويعبد ويصوم ويجوع ويقوم وينام. وتصيبه الامراض والاسقام وتبتليه الاعداء ويصيبه البلاء وتشتد به اللأواء ، وقد صرحوا بذلك وصرحوا بأن كل كرب يصيب النفوس فانه هو الذي يصيبه. وانه اذا نفس الكرب فانما يتنفس عنه، ولهذا كره بعض هؤلاء الذين هم من اكفر خلق الله واعظمهم نفاقا وإلحاداً وعتواً على الله وعناداً أن يصبر الانسان على البلاء لان عندهم هو المصاب المبتلى . وقد صرحوا بأنه

موصوف بكل نقص وعيب فانه ما ثم من يتصف بالنقائص والعيوب غيره . فكل عيب ونقص وكفر وفسوق في العالم فانه هو المتصف به لامتصف به غيره . كلهم متفقون على هذا في الوجود

ثم صاحب الفصوص يقول: ان ذلك ثابت في العدم، وغيره يقول ما ثم سوى وجود الحق الذي هو متصف بهذه المعايب والمثالب

(الخامس) ان عندهم ان الذين عبدوا اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى والذين عبدوا ودا وسواع ويغوث ويعوق ونسراً . والذين عبدوا الشعرى والنجم والشمس والقمر والذين عبدوا المسيح وعزيراً والملائكة وسائر من عبد الاوثان والاصنام : قوم نوح وعاد وثمود وقوم فرعون وبني اسرائيل وسائر المشركين والعرب ماعبدوا إلا الله . ولا يتصور ان يعبدوا غير الله، وقد صرحوا بذلك في مواضع كثيرة مثل قول صاحب الفصوص في فص الكلمة النوحية :

(ومكروا مكراً كبّارا) لإن الدعوة إلى الله مكر بالمدعو ، لانه ماعدم من البداية فيدعي الى الغاية (ادعوا الى الله) هنا عدة المكر (على بصيرة) ففيه أن الامر له كله فأجابوه مكراً كما دعاهم - إلى إن قال - فقالوا في مكرهم (لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً) فانهم إذا تركوهم جهلوا من الحق على قدر ما تركوا من هؤلاء . فان الحق في كل معبود وجها خاصا يعرفه من عرفه ويجهله من جهله في المحمديين (وقضى ربك ان لاتعبدوا إلا إياه) أي حكم فالعالم يعلم من عبد وفي أي صورة ظهر حتى عبد وأن التفريق والكثرة كالاعضاء في الصورة المحسوسة وكالقوى المعنوية في الصورة الروحانية. فما عبد غير الله في كل معبود. فالادنى من تخيل فيه الالوهية . فلولا هذا التخيل ماعبد الحجر ولا غيره . ولهذا قال تعالى (قل سموهم) فلو سموهم لسموهم حجراً وشجراً وكوكباً . ولو قيل من عبدتم لقالوا إلها واحداً كما كانوا يقولون الله ولا الالٓه، والاعلى ماتخيل بل

قال هذا مجلى إلهي ينبغي تعظيمه فلا يقتصر . فالادنى صاحب التخيل يقول: (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) والاعلى العالم يقول (إنما إلهكم إله واحد فله أسلموا) حيث ظهر (وبشر المخبتين الذين) خبت نار طبيعتهم فقالوا « إلها » ولم يقولوا « طبيعة »

وقال أيضا في فص الهارونية: ثم قال هارون لموسى (إني خشيت أن تقول فرقت بين بني اسرائيل) فتجعلني سبباً في تفريقهم ، فان عبادة العجل فرقت بينهم ، وكان فيهم من عبده اتباعا للسامري وتقليداً له ، ومنهم من توقف عن عبادته حتى يرجع موسى اليهم فيسألونه في ذلك ، فخشي هارون أن ينسب ذلك التفريق اليه ، فكان موسى أعلم بالامر من هارون لأنه علم ما عبده أصحاب العجل ، لعلمه بأن الله قد قضى أن لا يعبد إلا إياه وما حكم الله بشيء إلا وقع ، فكان عتب موسى أخاه هارون لما وقع الأمر في انكاره وعدم اتساعه ، فان العارف من يرى الحق في كل شيء ، بل يراه عين كل شيء ، فكان موسى يربي هارون تربية علم وإن كان أصغر منه في السن ، ولذلك لما قال له هارون ما قال رجع إلى السامري فقال (فما خطبك ياسامري) يعني فيما صنعت من عدولك إلى صورة العجل على الاختصاص - وساق الكلام - إلى أن قال - فكان عدم قوة إرداع هارون بالفعل أن تنفذ في أصحاب العجل بالتسليط على العجل كما سلط موسى عليه - حكمة من الله ظاهرة في الوجود ليعبد في كل صورة ، وإن ذهبت تلك الصورة بعد ذلك فما ذهبت إلا بعد ماتلبست عند عابدها بالالوهية ، ولهذا ما بقي نوع من الانواع إلا وعبد ، اما عبادة تأله ، واما عبادة تسخير ، ولا بد من ذلك لمن عقل ، وما عبد شيء من العالم إلا بعد التلبس بالرفعة عند العابد والظهور بالدرجة في قلبه . ولذلك تسمى الحق لنا برفيع الدرجات ولم يقل رفيع الدرجة فكثر الدرجات في عين واحدة فانه قضى أن لا يعبد إلا إياه في درجات له كثيرة مختلفة أعطت كل درجة مجلى إلهيا عبد فيها وأعظم مجلى عبد فيه وأعلاه الهوى كما قال (أفرأيت من اتخذ إلهه

هواه) فهو أعظم معبود، فانه لايعبد شيء إلا به ولا يعبد هو إلا بذاته. وفيه أقول :

وحق الهوى إن الهوى سبب الهوى ولولا الهوى في القلب ماعبد الهوى

ألا ترى علم الله بالاشياء ما أكمله كيف تم في حق من عبد هواه واتخذه إلها فقال (وأضله الله على علم) والضلالة الحيرة ، وذلك انه لما رأى هذا العابد ماعبد إلا هواه بانقياده لطاعته فيما يأمر به من عبادة من عبده من الاشخاص ، حتى إن عبادة الله كانت عن هوى أيضاً فانه لو لم يقع له في ذلك الجناب المقدس هوى وهو الارادة بمحبة ما عبد الله ولا آثره على غيره ، وكذلك كل من عبد صورة من صور العالم واتخذها إلها ما اتخذها الا بالهوى، فالعابد لا يزال تحت سلطان هواه ثم رأى المعبودات تتنوع في العابدين وكل عابد امراً ما يكفر من يعبد سواه، والذي عنده أدنى تنبه لا يحار لاتحاد الهوى بل لاحدية الهوى كما ذكر فانه عين واحدة في كل عابد (فأضله الله) أي حيره على علم بأن كل عابد ما عبد الا هواه ، ولا استعبده الا هواه، سواء صادف الامر المشروع أو لم يصادف، والعارف المكمل من رأى كل معبود مجلى للحق يعبد فيه. ولذلك سموه كلهم إلهاً مع اسمه الخاص شجر أوحجر أوحيوان أوانسان أوكوكب أوملك هذا اسم الشخصية فيه والالوهية مرتبة تخيل العابد له أنها مرتبة معبوده وهي على الحقيقة مجلى الحق لبصر هذا العابد المعتكف على هذا المعبود في هذا المجلى المختص بحجر ولهذا قال بعض من لم يعرف مقالة جهالة (مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) مع تسميتهم إياهم آلهة ، كما قالوا (اجعل الآلهة إلها واحداً إن هذا لشيء عجاب) فما انكروه بل تعجبوا من ذلك فانهم وقفوا على كثرة الصور ونسبة الالوهية لها، فجاء الرسول ودعاهم الى اله واحد يعرف ولايشهد ايضاً بشهادتهم أنهم أثبتوه عندهم واعتقدوه في قولهم (مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) لعلمهم بأن تلك الصور حجارة ، ولذلك قامت الحجة عليهم بقوله (قل سموهم) فما يسمونهم الا بما يعلمون أن تلك الاسماء لهم حقيقة. كحجر وخشب وكوكب

وأمثالها، وأما العارفون بالامر على ماهو عليه فيظهرون بصورة الانكار لماعبد من الصور لان مرتبتهم في العلم تعطيهم أن يكونوا بحكم الوقت . لكم الرسـول الذي آمنوا به عليهم الذي به سموا مؤمنين ، فهم عباد الوقت ، مع علمهم بأنهم ما عبدوا من تلك الصور أعيانها وانما عبدوا الله فيها بحكم سلطان التجلي الذي عرفوه منهم ، وجهله المنكر الذي لا علم له بما يتجلى، وستره العارف المكمل من نبي أو رسول أو وارث عنهم ، فأمرهم بالانتزاح عن تلك الصور لما انتزح عنها رسول الوقت اتباعاً للرسول طمعاً في محبة الله اياهم بقوله (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) فدعا إلى إله يصمد إليه ويعلم من حيث الجملة ولا يشهد ولا تدركه الابصار ، بل هو يدرك الابصار للطفه وسريانه في أعيان الاشياء ، فلا تدركه الابصار كما انها لا تدرك أرواحها المدبرة أشباحها ، وصورها الظاهرة ، فهو اللطيف الخبير ، والخبرة ذوق، والذوق تجلي والتجلي في الصور، فلا بد منها ولا بد منه ، فلا بد أن يعبده من رآه بهواه . ان فهمت هذا اه

فتدبر حقيقة ما عليه هؤلاء فانهم أجمعوا على كل شرك في العالم وعدلوا بالله كل مخلوق وجوزوا ان يعبد كل شيء ومع كونهم يعبدون كل شيء فيقولون ماعبدنا إلا الله، فاجتمع في قولهم أمران: كل شرك ، وكل جحود وتعطيل مع ظنهم أنهم ما عبدوا إلا الله ، ومعلوم أن هذا خلاف دين المرسلين كلهم وخلاف دين أهل الكتاب كلهم ، والملل كلها، بل وخلاف دين المشركين أيضاً وخلاف مافطر الله عليه عباده مما يعقلونه بقلوبهم ويجدونه في نفوسهم، وهو في غاية الفساد والتناقض والسفسطة والجحود لرب العالمين

وذلك انه علم بالاضطرار أن الرسل كانوا يجعلون ماعبده المشركون غير الله، ويجعلون عابده عابدا لغير الله مشركا بالله عادلا به جاعلا له ندا. فانهم دعوا الخلق إلى عبادة الله وحده لا شريك له . وهذا هو دين الله الذي أنزل به كتبه وأرسل به

رسله وهو الاسلام العام الذي لا يقبل الله من الاولين والآخرين غيره، ولا يغفر لمن تركه بعد بلاغ الرسالة كما قال (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) وهو الفارق بين أهل الجنة وأهل النار والسعداء والاشقياء كما قال النبي ﷺ « من كان آخر كلامه لا إله إلا الله وجبت له الجنة » وقال « من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله وجبت له الجنة » وقال « إني لاعلم كلمة لا يقولها عبد عند الموت إلا وجد لها روحا وهي رأس الدين » وكما قال « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فاذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله »

وفضائل هذه الكلمة وحقائقها وموقعها من الدين فوق ما يصفه الواصفون ويعرفه العارفون ، وهي حقيقة الامر كله كما قال تعالى (وما أرسلنا من رسول إلا نوحي اليه انه لا إله الا أنا فاعبدون) فأخبر سبحانه انه يوحي إلى كل رسول بنفي الالوهية عما سواه وإثباتها له وحده . وزعم هؤلاء الملاحدة المشركون أن كل شيء يستحق الالوهية كاستحقاق الله لها ، وقال تعالى (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون؟) وزعم هؤلاء الملاحدة ان كل شيء فانه إله معبود . فأخبر سبحانه انه لم يجعل من دون الرحمن آلهة. وقال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) فأمر الله سبحانه بعبادته واجتناب الطاغوت . وعند هؤلاء : أن الطواغيت جميعها فيها الله أو هي الله ومن عبدها فما عبد إلا الله . وقال تعالى (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم) الآيتين وأمر سبحانه بعبادة الرب الخالق لهذه الآيات . وعند هؤلاء الملاحدة الملاعين هو عين هذه الآيات . ونهى سبحانه أن يجعل الناس له أنداداً وعندهم هذا لا يتصور فان الانداد هي عينه فكيف يكون نداً لنفسه؟ والذين عبدوا الانداد فما عبدوا سواه

ثم ان هؤلاء الملاحدة احتجوا بتسمية المشركين لما عبدوه إلهاً كما قال

(أجعل الآلهة إلها واحداً ؟) واعتقدوا انهم لما سموهم آلهة كانت تسمية المشركين دليلا على ان الهية الله لهم. وهذه الحجة قد ردها الله على المشركين في غير موضع كقوله سبحانه عن هود في مخاطبته للمشركين من قومه (أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم) الآية هذا رداً لقولهم (أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا) فأخبر رسول الله ﷺ أن تسميتهم إياها آلهة ومعبودين تسمية ابتدعوها هم وآباؤهم ما أنزل الله بها من حجة ولا سلطان، والحكم ليس إلا لله وحده ، وقد أمر هو سبحانه أن لا يعبد الا اياه، فكيف يحتج بقول مشركين لا حجة لهم ؟ وقد أبطل الله قولهم ؟ وأمر الخلق أن لا يعبدوا إلا إياه دون هذه الاوثان التي سماها المشركون آلهة، وعند الملاحدة عابدو الاوثان ما عبدوا الا الله

ثم ان المشركين أنكروا على الرسول حيث جاءهم ليعبدوا الله وحده ويذروا ما كان يعبد آباءهم، فاذا كانوا هم مازالوا يعبدون الله وحده كما زعمه الملاحدة، فلم يدعو إلى ترك ما يعبده آباؤهم هو وغيره من الانبياء ؟ وكذلك قال سبحانه في سورة يوسف عنه (ياصاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ؟ ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان — الى قوله — ولكن اكثر الناس لا يعلمون) وقال سبحانه (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى — الى قوله — ولقد جاءهم من ربهم الهدى) وهذه الثلاثة المذكورة في هذه السورة هي الاوثان العظام الكبار التي كان المشركون ينتابونها من امصارهم، فاللات كانت حذو قديد بالساحل لأهل المدينة، والعزى كانت قريبة من عرفات لأهل مكة ، ومناة كانت بالطائف لثقيف، وهذه الثلاثة هى أمصار ارض الحجاز

أخبر سبحانه ان الاسماء التي سماها المشركون اسماء إبتدعوها لا حقيقة لها، فهم انما يعبدون اسماء لا مسميات لها، لانه ليس في المسمى من الالوهية ولا العزة

ولا التقدير شيء، ولم ينزل الله سلطانا بهذه الاسماء، إن يتبع المشركون الا ظنا لا يغني من الحق شيئا في أنها آلهة تنفع وتضر ويتبعوا اهواء انفسهم. وعند الملاحدة انهم اذا عبدوا أهواءهم فقد عبدوا الله، وقد قال سبحانه عن امام الائمة وخليل الرحمن وخير البرية بعد محمد ﷺ انه قال لأبيه (ياأبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا * ياأبت اني قد جاءني من العلم مالم يأتك — الى قوله — فتكون للشيطان وليا) فنهاه وأنكر عليه ان يعبد الاوثان التي لاتسمع ولا تبصر ولا تغني عنه شيئا

وعلى زعم هؤلاء الملحدين فما عبدوا غير الله في كل معبود فيكون الله هو الذي لايسمع ولا يبصر ولا يغني عنه شيئا وهو الذي نهاه عن عبادته وهو الذي امره بعبادته. وهكذا قال احذق طواغيتهم الفاجر التلمساني في قصيدة له :

يا عاذلي انت تنهاني وتأمرني والوجد اصدق نهاء وأمار

فان اطعك وأعص الوجد عذرني عمى عن العيان الى اوهام اخبار[1]

وعين ما أنت تدعوني اليه اذا حققته تره المنهي يا جاري

وقد قال ايضا ابراهيم لأبيه (يا ابت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا) وعندهم ان الشيطان مجلى الحق ينبغي تعظيمه ومن عبده فما عبد غير الله، وليس الشيطان غير الرحمن حتى نعصيه، وقد قال سبحانه (ألم أعهد اليكم يابني آدم ألا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين * وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم — الى قوله — يعقلون) فنهاهم عن عبادة الشيطان وأمرهم بعبادة الله سبحانه، وعندهم عبادة الشيطان هي عبادته أيضا، فينبغي أن يعبد الشيطان وجميع الموجودات فانها عينه

وقال تعالى أيضا عن امام الخلائق خليل الرحمن انه لما (رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين * فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي، فلما

---

(١) كذا في الاصل وليحرر

أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين * فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر، فلما أفلت قال ياقوم إني بريء مما تشركون * اني وجهت وجهي - الى قوله - وهم مهتدون) وقال أيضا (قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا براء منكم - الى قوله - حتى تؤمنوا بالله وحده) وقال تعالى (واذ قال ابراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني) الآية . وقال تعالى (أفرأيتم ما كنتم تعبدون * أنتم وآباؤكم الاقدمون - الى قوله - إذ نسويكم برب العالمين) وقال تعالى (إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون ؟ قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين - إلى قوله - قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين)

فهذا الخليل الذي جعله الله امام الأئمة الذين يهتدون بأمره من الانبياء والمرسلين بعده وسائر المؤمنين قال (إنني بريء مما تشركون إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً) وعند الملاحدة الذي أشركوه هو عين الحق ليس غيره ، فكيف يتبرأ من الله الذي وجه وجهه اليه؟ وأحد الأمرين لازم على أصلهم إما أن يعبده في كل شيء من المظاهر بدون تقيد ولا اختصاص وهو حال المكمل عندهم فلا يتبرأ من شيء ، واما أن يعبده في بعض المظاهر كفعل الناقصين عندهم

وأما التبري من بعض الموجودات فقد قال : ان قوم نوح لو تركوهم لتركوا من الحق بقدر ما تركوا من تلك الاوثان ، والرسل قد تبرأت من الاوثان فقد تركت الرسل من الحق شيئاً كثيراً وتبرؤا من الله الذي دعوا الخلق اليه ، والمشركون على زعمهم أحسن حالا من المرسلين ، لان المشركين عبدوه في بعض المظاهر ولم يتبرؤا من سائرها ، والرسل يتبرؤن منه في عامة المظاهر .

ثم قول ابراهيم (وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض) باطل على أصلهم ، فانه لم يفطرها اذ هي ليست غيره ، فما أجدرهم بقوله (ألم تر إلى الذين أوتوا

نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت) الآية

ثم قول الخليل (وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون انكم أشركتم بالله) الآية وهذه حجة الله التي آتاها ابراهيم على قومه بقوله : كيف أخاف ماعبدتموه من دون الله ؟ وهي المخلوقات المعبودة من دونه ، وعندهم ليست معبودة من دونه، ومن لم يقم بحقها فلم يخف الله، والرسل لم يخافوا الله .

وقول الخليل (انكم أشركتم بالله ما لم ينزل به سلطانا) لم يصح عندهم فانهم لم يشركوا بالله شيئا اذ ليس ثم غيره حتى يشركوا به ، بل المعبود الذي عبدوه هو الله وأ كثر ما فعلوه انهم عبدوه في بعض المظاهر وليس في هذا أنهم جعلوا غيره شريكا له في العبادة .

وقوله (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) ورد في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال : لما نزلت هذه الآية شق ذلك على أصحاب النبي ﷺ وقالوا : أينا لم يظلم نفسه ؟ فقال النبي ﷺ « ألم تسمعوا الى قول العبد الصالح (لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم) » فقد أخبر الله ورسوله ان الشرك ظلم عظيم ، وان الامن هو لمن آمن بالله ولم يخلط إيمانه بشرك ، وعلى زعم هؤلاء الملاحدة فايمان الذين خلطوا إيمانهم بشرك هو الايمان الكامل التام ، وهو إيمان المحقق العارف عندهم، لان من آمن بالله في جميع مظاهره وعبده في كل موجود هو أكمل ممن لم يؤمن بالامر حيث لم يظهر ، ولم يعبده الا من حيث لا يشهد ولا يعرف [1] وعندهم

---

(١) يعنون بهذا الايمان بالغيب الذي هو أساس دين الله في القرآن وسائر الكتب الالهية . وهذا عندهم ادنى وانقص درجات الايمان بل هو عندهم باطل ، إذ لا موجود عندهم غير هذه المظاهر ، فاكمل العبادة عبادتها أو عبادة ما سمي الاله فيها كلها وهو هي ، ودون ذلك عبادته في بعضها كعبادة المسيح وغيره من البشر وعبادة العجل والاصنام فكلما كثرت المعبودات كانت العبادة أكمل ، ولا يسمى هذا شركا عندهم لان هذه كلها وسائر الموجودات شيء واحد في نفسه متعدد في مظاهره .

لايتصور أن يوجد الا في المخلوق، فمن لم يعبده في شيء من المخلوقات أصلا فما عبده في الحقيقة ، واذا أطلقوا انه عبده فهو لفظ لا معنى له، أي اذا فسروه فيكون بالتخصيص بمعنى انه خصص بعض المظاهر بالعبادة ، وهذا عندهم نقص لا من جهة ما أشركه وعبده ، وانما هو من جهة ما تركه، فليس عندهم في الشرك ظلم ولا نقص الا من جهة قلته ، و الا فاذا كان الشرك عاما كان أكمل وأفضل ،

وكذلك أيضا قول الخليل لقومه (إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله) تبرأ عندهم من الحق الذي ظهر فيهم وفي آلهتهم، وكذلك كفره به ومعاداته لهم كفر بالحق عندهم ومعاداة له .

ثم قوله (حتى تؤمنوا بالله وحده) كلام لا معنى له عندهم ، فانهم كانوا مؤمنين بالله وحده ، اذ لايتصور عندهم غيره ، وانما غايتهم انهم عبدوه في بعض المظاهر وتركوا بعضها من غير كفر به فيها ، وكذلك سائر ماقصه عن ابراهيم من معاداته لما عبده أولئك هو عندهم معاداة لله لانه ماعبد غير الله كما زعم الملحدون محتجين بقوله (وقضى ربك أن لاتعبدوا الا إياه) قالوا : وما قضى الله شيئا الا وقع .وهذا هو الالحاد في آيات الله ، وتحريف الكلم عن مواضعه ، والكذب على الله، فان «قضى» هنا ليست بمعنى القدر والتكوين باجماع المسلمين بل وباجماع العقلاء حتى يقال ماقدر الله شيئاً الاوقع، وانما هي بمعنى أمر، وما أمر الله به فقد يكون وقد لايكون. فتدبر هذا التحريف، وكذلك قوله ماحكم الله بشيء الا وقع كلام مجمل فان الحكم يكون بمعنى الامر الديني وهو الاحكام الشرعية كقوله (ياأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الانعام) الآية ، وقوله (ومن أحسن من الله حكما) وقوله (ذلكم حكم الله يحكم بينكم) ويكون الحكم حكما بالحق والتكوين والعقل كقوله (لن أبرح الارض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي) وقوله (قال رب احكم بالحق)

ولهذا كان بعض السلف يقرءون (ووصى ربك أن لا تعبدوا الا إياه) وذكروا أنها كذلك في بعض المصاحف ، ولهذا قال في سياق الكلام (وبالوالدين احسانا) الآية وساق أمره ووصاياه الى أن قال (ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا) فختم الكلام بمثل مافتحه به من أمره بالتوحيد ونهيه عن الشرك ليس هو اخباراً انه ماعبد أحد الا الله وان الله قدر ذلك وكونه ، وكيف وقد قال (ولا تجعل مع الله إلها آخر) ؟ وعندهم ليس في الوجود شيء يجعل إلها آخر فأي شيء عبد فهو نفس الاله ليس آخر غيره ،

ومثل معاداة ابراهيم والمؤمنين لله على زعمهم حيث عادى العابدين والمعبودين وما عبد غير الله ، وما عبد الله غير الله ، فهو عين كل عابد وعين كل معبود وقوله تعالى (لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة) وعلى زعمهم مالله عدو أصلا ، وانه ماثم غير ولا سوى بحيث يتصور أن يكون عدو نفسه اوعدو الذوات التي لا يظهر الا بها

(السادس) ان عندهم ان دعوة العباد الى الله مكر بهم كما صرح به حيث قال : ان الدعوة الى الله مكر بالمدعو فانه ماعدم من البداية فيدعى الى الغاية .

وقال أيضا صاحب الفصوص (وبشر المخبتين) الذين خبت نار طبيعتهم فقالوا الها ولم يقولوا طبيعة (وقد أضلوا كثيرا) أي حيروهم في تعداد الواحد بالوجوه والنسب (ولا تزد الظالمين) لانفسهم المصطفين الذين أورثوا الكتاب فهم اول الثلاثة فقدمه على المقتصد والسابق (الا ضلالا) أي الا حيرة. وفي المحمدي زدني فيك تحيراً (كلما أضاء لهم مشوا فيه واذا أظلم عليهم قاموا) له فالحير له الدور والحركة الدورية حول القطب فلا تبرح منه ، وصاحب الطريق المستطيل مائل خارج عن المقصود طالب ماهو فيه ، صاحب خيال اليه غايته ، فله «من» و «الى» ومابينهما ، وصاحب الحركة الدورية لا بدء له فيلزمه «من» ولا غاية فتحكم عليه «الى» فله الوجود الاتم وهو المؤتى جوامع الكلم » اه

وقال بعض شعرائهم:

مابال عينك لايقر قرارها وإلام خطوك لابني متنقلا

فلسوف تعلم ان سيرك لم يكن الا اليك اذا بلغت المنزلا

فعندهم الانسان هو غاية نفسه ، وهو معبود نفسه وليس وراءه شيء يعبده أو يقصده ، أويدعوه أو يستجيب له ، ولهذا كان قولهم حقيقة قول فرعون ،

وكنت أقول لمن أخاطبه ان قولهم هو حقيقة قول فرعون حتى حدثني بعض من خاطبته في ذلك من الثقات العارفين: ان بعض كبرائهم لما دعا هذا المحدث إلى مذهبهم وكشف له حقيقة سرهم قال: فقلت له هذا قول فرعون ، قال: نعم، ونحن على قول فرعون ، فقلت له والحمد لله الذي اعترفوا بهذا، فانه مع إقرار الخصم لا يحتاج إلى بينة ،

وقد جعل صاحب الطريق المستطيل صاحب خيال ، ومدح الحركة المستديرة الحائرة، والقرآن يأمر بالصراط المستقيم ويمدحه ويثني على أهله لا على المستدير . ففي أم الكتاب (اهدنا الصراط المستقيم) وقال (وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل) وقال (ولو انهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تثبيتاً) الآيتين [1] وقال تعالى في موسى وهارون (وآتيناهما الكتاب المستبين *وهديناهما الصراط المستقيم) وقال تعالى (وهذا صراط ربك مستقيما ، قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون) وقال عن ابليس(فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم) الآية وقال تعالى(ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين)وهؤلاء الملحدون من أكابر متبعيه،وانه قعد لهم على صراط الله المستقيم فصدهم عنه حتى كفروا بربهم ، وآمنوا ان نفوسهم هي معبودهم وإلههم . وقال تعالى في حق خاتم الرسل(وانك لتهدي إلى صراط مستقيم*صراط الله) الآية وأيضاً فان الله يقول (وردوا الى الله مولاهم الحق) وقال تعالى (ان الينا إيابهم

---

(١) أي أقرأ الآيتين بعد هذه اذ آخرهما (ولهديناهم صراطا مستقيما)

ثم ان علينا حسابهم) وقال تعالى (إلى الله مرجعكم جميعاً) الآية وقال تعالى (يا أيها الانسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه) وهؤلاء عندهم ماثم الا أنت، وأنت من الآن مردود الى الله، وما رأيت مردوداً اليه وليس هو شيء غيرك حتى ترد اليه أو ترجع اليه ، أو تكدح اليه أو تلاقيه ، ولهذا حدثونا أن ابن الفارض لما احتضر أنشد بيتين:

إن كان منزلتي في الحب عندكم   ما قد لقيت فقد ضيعت أيامي
أمنية ظفرت نفسي بها زمناً   واليوم أحسبها أضغاث أحلام

وذلك انه كان يتوهم انه الله، وانه ما ثم مرد اليه ومرجع اليه غير ما كان عليه ، فلما جاءته ملائكة الله تنزع روحه من جسمه ، وبدا له من الله مالم يكن يحتسب ، تبين له أن ما كان عليه أضغاث أحلام من الشيطان

وكذلك حدثني بعض أصحابنا عن بعض من أعرفه وله اتصال بهؤلاء عن الفاجر التلمساني انه وقت الموت تغير واضطرب، قال: دخلت عليه وقت الموت فوجدته يتأوه ، فقلت له: مم تتأوه ؟ فقال من خوف الفوت ، فقلت سبحان الله، ومثلك يخاف الفوت وأنت تدخل الفقير إلى الخلوة فتوصله إلى الله في ثلاثة ايام؟ فقال مامعناه : زال ذلك كله وما وجدت لذلك حقيقة

(الثامن) [1] ان عندهم من يدعي الالهية من البشر كفرعون والدجال المنتظر، أو ادعيت فيه وهو من أولياء الله نبياً كالمسيح، أو غير نبي كعلي، أو ليس من أولياء الله كالحاكم بمصر وغيرهم ، فانه عند هؤلاء الملاحدة المنافقين يصحح هذه الدعوى ، وقد صرح صاحب الفصوص ان هذه الدعوى كدعوى فرعون ، وهم كثيراً مايعظمون فرعون فانه لم يتقدم لهم رأس في الكفر مثله، ولا يأتي متأخرهم مثل الدجال الاعور الكذاب ، وإذا نافقوا المؤمنين وأظهروا الايمان قالوا انه مات مؤمنا وانه لا يدخل النار ، وقالوا

(١) لم يذكر السابع

ليس في القرآن مايدل على دخوله النار . وأما في حقيقة أمرهم فما زال عندهم عارفا بالله ، بل هو الله، وليس عندهم نار فيها ألم أصلا كما سنذكره ان شاء الله عنهم، ولكي يتفطن بهذا لكون البدع مظان النفاق، كما أن السنن شعائر الايمان

قال صاحب الفصوص في فص الحكمة التي في الكلمة الموسوية لما تكلم على قوله (وما رب العالمين) «وهنا سر كبير فانه أجاب بالفعل لمن سأل عن الحد الذاتي فجعل الحد الذاتي عين اضافته إلى ما ظهر به من صور العالم أو ما ظهر فيه من صور العالم، فكأنه قال له في جواب قوله (وما رب العالمين) قال الذي يظهر فيه صور العالمين من علو وهو السماء وسفل وهو الارض (إن كنتم موقنين) أو يظهر هو بها ، فلما قال فرعون لأصحابه انه لمجنون كما قلنا في معنى كونه مجنونا أي لمستور عنه علم ماسألته عنه أو لا يتصور أن يعلم أصلا، زاد موسى في البيان ليعلم فرعون رتبته في العلم الالهي لعلمه بأن فرعون يعلم ذلك فقال (رب المشرق والمغرب) فجاء بما يظهر ويستر وهو الظاهر والباطن (وما بينهما) وهو قوله « وهو بكل شيء عليم » (ان كنتم تعقلون) اي ان كنتم أصحاب تقييد فان العقل للتقييد

«والجواب الاول جواب الموقنين وهم أهل الكشف والوجود، فقال له (ان كنتم موقنين) أي أهل كشف ووجود فقد أعلمتكم ماتيقنتموه في كشفكم ووجودكم، فان لم تكونوا من هذا الصنف فقد أجبتكم بالجواب الثاني ان كنتم أهل عقل وتقييد وحصرتم الحق فيما تعطيه أدلة عقولكم ، فظهر موسى بالوجهين ليعلم فرعون فضله وصدقه، وعلم موسى ان فرعون لكونه سأل عن ذلك من الماهية فعلم انه سؤاله ليس على اصطلاح القدماء في السؤال فلذلك أجاب فلو علم منه غير ذلك لخطأه في السؤال ، فلما جعل موسى المسؤول عنه عين العالم خاطبه فرعون بهذا اللسان والقوم لايشعرون فقال له (لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين) والسين من حروف الزوائد ، أي لأسترنك فانك أجبت بما أيدتني به ان أقول مثل

هذا القول فان قال لي بلسان الاشارة : فقد جهلت يا فرعون بوعيدك اياي والعين واحدة فكيف فرقت فيقول فرعون انما فرقت المراتب العين ما تفرقت العين ولا انقسمت في ذاتها، ومرتبتي الآن التحكم فيك ياموسى بالفعل، وانا أنت بالعين، وأنا غيرك بالرتبة ـ وساق الكلام الى ان قال : ولما كان فرعون في منصب الحكم صاحب الوقت وانه الخليفة بالسيف وان جار في العرف الناموسي لذلك قال (أنا ربكم الأعلا) وان كان الكل أربابا بنسبة ما ، فأنا الأعلا منهم بما اعطيته في الظاهر من التحكم فيكم ، ولما علمت السحرة صدقه فيما قال لهم لم ينكروه وأقروا له بذلك وقالوا له (فاقض ما انت قاض انما تقضي هذه الحياة الدنيا) فالدولة لك فصح قوله (أنا ربكم الاعلا) وان كان عين الحق فالصورة لفرعون فقطع الايدي والارجل وصلب بعين حق في صورة باطل لنيل مراتب لاتنال الا بذلك الفعل فان الاسباب لاسبيل الى تعطيلها لان الاعيان الثابتة اقتضتها، فلا تظهر في الوجود الا بصورة ما هي عليه في الثبوت اذ لا تبديل لكلمات الله ، وليست كلمة الله سوى اعيان الموجودات»

فصل

ومن أعظم الاصول التي يعتمدها هؤلاء الاتحادية الملاحدة المدعون للتحقيق والعرفان ما يأثرونه عن النبي ﷺ قال «كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان » وهذه الزيادة وهو قوله «وهو الآن على ما عليه كان » كذب مفتري على رسول الله ﷺ اتفق أهل العلم بالحديث على إنه موضوع مختلق ، وليس هو في شيء من دواوين الحديث ، لا كبارها ولا صغارها . ولا رواه أحد من أهل العلم باسناد لاصحيح ولاضعيف ، ولاباسناد مجهول ، وانما تكلم بهذه الكلمة بعض متأخري متكلمة الجهمية . فتلقاه من هؤلاء الذين وصلوا إلى آخر التجهم

وهو التعطيل والالحاد ، ولكن أولئك قد يقولون : كان الله ولا مكان ولا زمان، وهو الآن على ما عليه كان، فقال هؤلاء : كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ماعليه كان ، وقد عرف بأن هذا ليس من كلام النبي ﷺ أعلم هؤلاء بالاسلام ابن عربي فقال «مالا بد للمريد منه وكذلك ، جاء في السنة «كان الله ولا شيء معه» قال : وزاد العلماء وهو الآن على ماعليه كان ، ولم يرجع اليه من خلقه العالم وصف لم يكن عليه ولا عالم موجود ، فاعتقد فيه من التنزيه مع وجود العالم مايعتقده فيه ولا عالم ولا شيء سواه . » وهذا الذي قاله هو قول كثير من أهل القبلة . ولو ثبت على هذا لكان قوله من جنس قول غيره . لكنه متناقض ، ولهذا كان مقدم الاتحادية الفاجر التلمساني يرد عليه في مواضع يقرب فيها إلى المسلمين ، كما يرد عليه المسلمون المواضع التي خرج فيها إلى الاتحاد ، وانما الحديث المأثور عن النبي ﷺ ما أخرجه البخاري ومسلم عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ انه قال « كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء ، ثم خلق السموات والارض » وهذه الزيادة الالحادية ، وهو قولهم : وهو الآن على ماعليه كان ، قصد بها المتكلمة المتجهمة نفي الصفات التي وصف بها نفسه من استوائه على العرش ونزوله إلى السماء الدنيا ، وغير ذلك فقالوا : كان في الازل ليس مستوياً على العرش ، وهو الآن على ما عليه كان، فلا يكون على العرش لما يقتضي ذلك من التحول والتغير ، ويجيبهم أهل السنة والاثبات بجوابين

(أحدهما) أن المتجدد نسبة إضافية بينه وبين العرش بمنزلة المعية ويسميها ابن عقيل الاحوال ، وتجدد النسب والاضافات متفق عليه بين جميع أهل الارض من المسلمين وغيرهم. إذ لا يقتضي ذلك تغيراً ولا استحالة

(والثاني) ان ذلك وان اقتضى تحولا من حال إلى حال ، ومن شأن إلى شأن ، فهو مثل مجيئه واتيانه ونزوله . وتكليمه لموسى واتيانه يوم القيامة في صورة ونحو ذلك مما

دلت عليه النصوص. وقال به أكثر أهل السنة في الحديث . وكثير من أهل الكلام وهو لازم لسائر الفرق. وقد ذكرنا نزاع الناس في ذلك في قاعدة الفرق بين الصفات والمخلوقات والصفات الفعلية ، وأما هؤلاء الجهمية الاتحادية فقالوا : وهو الآن على ماعليه كان ، ليس معه غيره كما كان في الازل ولاشيء معه ، قالوا : إذ الكائنات ليست غيره ولا سواه ، فليس الا هو : فليس معه شيء آخر لاأزلا ولا أبدا بل هو عين الموجودات ، ونفس الكائنات ، وجعلوا المخلوقات المصنوعات هي نفس الخالق الباريء المصور ، وهم دائما يهذون بهذه الكلمة : « وهو الآن على ماعليه كان » وهي أجل عندهم من (قل هو الله أحد) ومن آية الكرسي لما فيها من الدلالة على الاتحاد الذي هو الحادهم ، وهم يعتقدون أنها ثابتة عن النبي ﷺ وأنها من كلامه ومن أسرار معرفته، وقد بينا أنها كذب مختلق ، ولم يروها أحد من أهل العلم ولا في شيء من دواوين الحديث بل اتفق العارفون بالحديث على انها موضوعة ، ولا تنقل هذه الزيادة عن امام مشهور في الامة بالامامة، وانما مخرجها ممن يعرف بنوع من التجهم ، وتعطيل بعض الصفات ، ولفظ الحديث المعروف عند علماء الحديث الذي أخرجه أصحاب الصحيح « كان الله ولا شيء معه ، وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء » وهذا انما ينفي وجود المخلوقات من السموات والارض . ومافيهما من الملائكة والانس والجن . لاينفي وجود العرش. ولهذا ذهب كثير من السلف والخلف الى أن العرش متقدم على القلم واللوح . مستدلين بهذا الحديث وحملوا قوله « أول ما خلق الله القلم فقال له : اكتب . فقال: وما اكتب ؟ قال اكتب ماهو كائن الى يوم القيامة » على هذا الخلق المذكور في قوله (وهو الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام وكان عرشه على الماء) وهذا نظير حديث أبي رزين العقيلي المشهور في كتب المسانيد والسنن انه سأل النبي ﷺ فقال : يارسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه ؟ فقال

« كان في عماء، مافوقه هواء وما تحته هواء» فالخلق المذكور في هذا الحديث لم يدخل فيه الغمام، وذكر بعضهم أن هذا هو السحاب المذكور في قوله (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام) وفي ذلك آثار معروفة

والدليل على أن هذا الكلام وهو قولهم «وهو الآن على ما عليه كان» كلام باطل مخالف للكتاب والسنة والاجماع والاعتبار وجوه

(أحدها) أن الله قد اخبر بأنه مع عباده في غير موضع من الكتاب عموما وخصوصاً مثل قوله (وهو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش وهو معكم أينما كنتم) وقوله (ما يكون من نجوي ثلاثة الاهو رابعهم ـ الى قوله ـ اينما كانوا) وقوله (ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون * والله مع الصابرين) في موضعين وقوله (انني معكما أسمع وأرى * لا تحزن ان الله معنا * وقال الله اني معكم * ان معي ربي سيهدين » وكان النبي ﷺ اذا سافر يقول « اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الاهل، اللهم اصحبنا في سفرنا، واخلفنا في أهلنا » فلو كان الخلق عموماً وخصوصاً ليسوا غيره ولاهم معه بل ما معه شيء آخر امتنع أن يكون هو مع نفسه وذاته، فان المعية توجب شيئين كون أحدهما مع الآخر فكما أخبر الله انه مع هؤلاء امتنع علم بطلان قولهم « هو الآن على ما عليه كان» لا شيء معه. بل هو عين المخلوقات، وأيضاً فان المعية لا تكون الا من الطرفين، فان معناها المقارنة والمصاحبة، فاذا كان أحد الشيئين مع الآخر امتنع ألا يكون الآخر معه، فمن الممتنع أن يكون الله مع خلقه ولا يكون لهم وجود معه ولا حقيقة أصلا بل هم هو

(الوجه الثاني) ان الله قال في كتابه (ولا تجعل مع الله الهاً آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً) وقال تعالى (فلا تدع مع الله الهاً آخر فتكون من المعذبين) وقال (ولا تدع مع الله الهاً آخر لا اله الا هو كل شيء هالك الا وجهه)

فنهاه أن يجعل أو يدعو معه إلهاً آخر، ولم ينهه ان يثبت معه مخلوقاً ، أو يقول ان معه عبداً مملوكا أو مربوباً فقيراً ، أو معه شيئا موجوداً خلقه، كما قال : (لا إله إلا هو) ولم يقل لاموجود الا هو، ولا هو الا هو، ولا شيء معه الا هو، بمعنى انه نفس الموجودات وعينها. وهذا كما قال (الهكم اله واحد) فاثبت وحدانيته في الالوهية ولم يقل ان الموجودات واحد فهذا التوحيـد الذي في كتاب الله هو توحيد الالوهية وهو أن لا تجعل معه ولا تدعو معه الهاً غيره ، فأين هذا من أن يجعل نفس الوجود هو اياه ، وأيضاً فنهيه أن يجعل معه او يدعو معه الهاً آخر دليل على أن ذلك ممكن كما فعله المشركون الذين دعوا مع الله آلهة أخرى

فهذه النصوص تدل على أن معه أشياء ليست بآلهة، ولا يجوز أن تجعل آلهة ولا تدعى آلهة، وأيضاً فعند الملحد يجوز أن يعبد كل شيء ويدعى كل شيء اذ لا يتصور أن يعبد غيره فانه هو الاشياء ، فيجوز للانسان حينئذ أن يدعو كل شيء من الآلهة المعبودة من دون الله ، وهو عند الملحد مادعا معه الهاً آخر فجعل نفس ما حرمه الله وجعله شركا جعله توحيداً ، والشرك عنده لا يتصور بحال

(الوجه الثالث) ان الله لما كان ولا شيء معه لم يكن معه سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ، ولا جن ولا انس ولا ذوات ولا شجر ولا جنة ولا نار ولا جبال ولا بحار. فان كان الآن على ماعليه كان، فيجب أن لا يكون معه شيء من هذه الاعيان ، وهذا مكابرة للعيان، وكفر بالقرآن والايمان

(الوجه الرابع) ان الله كان ولا شيء معه ثم كتب في الذكر كل شيء كما جاء في الحديث الصحيح فان كان لاشيء معه فيما بعد فما الفرق بين حال الكتابة وقبلها ، وهو عين الكتابة واللوح عند الفراعنة الملاحدة ؟

فصل

وزعمت طائفة من هؤلاء الاتحادية الذين ألحدوا في أسماء الله وآياته ان فرعون كان مؤمنا وانه لايدخل النار ، وزعموا انه ليس في القرآن مايدل على عذابه بل فيه ماينفيه كقوله (ادخلوا آل فرعون أشد العذاب) قالوا فانما أدخل آله دونه وقوله (يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار) قالوا إنما أوردهم ولم يدخلها قالوا ولانه قد آمن انه لا إله إلا الذي آمنت به بنو اسرائيل ، ووضع جبريل الطين في فمه لايرد إيمان قلبه .

وهذا القول كفر معلوم فساده بالاضطرار من دين الاسلام لم يسبق ابن عربي اليه فيما اعلم أحد من أهل القبلة ولا من اليهود ولا من النصارى بل جميع أهل الملل مطبقون على كفر فرعون . فهذا عند الخاصة والعامة أبين من أن يستدل عليه بدليل، فانه لم يكفر أحد بالله ويدعي لنفسه الربوبية والالهية مثل فرعون ، ولهذا ثنى الله قصته في القرآن في مواضع فان القصص هي أمثال مضروبة للدلالة على الايمان، وليس في الكفار أعظم من كفره ، والقرآن قد دل على كفره وعذابه في الآخرة في مواضع

(أحدها) قوله تعالى في القصص (فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملئه انهم كانوا قوما فاسقين ـ الى قوله ـ واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين) فأخبر سبحانه أنه أرسله الى فرعون وقومه ، وأخبر أنهم كانوا قوما فاسقين ، وأخبر انهم (قالوا ماهذا إلا سحر مفترى) وأخبر ان فرعون (قال ماعلمت لكم من إله غيري) وانه أمر باتخاذ الصرح ليطلع الى إله موسى وانه يظنه كاذبا، وأخبر انه استكبر فرعون وجنوده وظنوا انهم لايرجعون الى الله. وانه أخذ فرعون وجنوده فنبذهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين، وانه جعلهم أئمة يدعون الى النار ويوم القيامة لاينصرون، وأنه

أتبعهم في الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين

فهذا نص في ان فرعون من الفاسقين المكذبين لموسى الظالمين الداعين إلى النار الملعونين في الدنيا بعد غرقهم المقبوحين في الدار الآخرة . وهذا نص في أن فرعون بعد غرقه ملعون، وهو في الآخرة مقبوح غير منصور . وهذا إخبار عن غاية العذاب، وهو موافق للموضع الثاني في سورة المؤمن وهو قوله (وحاق بآل فرعون سوء العذاب * النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) وهذا إخبار عن فرعون وقومه انه حاق بهم سوء العذاب في البرزخ وانهم في القيامة يدخلون أشد العذاب ، وهذه الآية احدى ما استدل به العلماء على عذاب البرزخ

وانما دخلت الشبهة على هؤلاء الجهال لما سمعوا آل فرعون فظنوا ان فرعون يخرج منهم . وهذا تحريف للكلم عن مواضعه ، بل فرعون داخل في آل فرعون بلا نزاع بين اهل العلم والقرآن واللغة يتبين ذلك بوجوه

(أحدها) ان لفظ آل فلان يدخل فيها ذلك الشخص مثل قوله في الملائكة الذين ضافوا ابراهيم (انا أرسلنا الى قوم مجرمين * الا آل لوط انا لمنجوهم اجمعين * الا امرأته) ثم قال (فلما جاء آل لوط المرسلون قال) يعني لوطا (انكم قوم منكرون) وكذلك قوله (انا أرسلنا عليهم حاصباً الا آل لوط نجيناهم بسحر)ثم قال بعد ذلك (ولقد جاء آل فرعون النذر * كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر) ومعلوم أن لوطا داخل في آل لوط في هذه المواضع وكذلك فرعون داخل في آل فرعون المكذبين المأخوذين ، ومنه قول النبي ﷺ « قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم » وكذلك قوله « كما باركت على آل ابراهيم » فابراهيم داخل في ذلك ،وكذلك قوله للحسن « ان الصدقة لاتحل لآل محمد »

وفي الصحيح عن عبد الله بن أبي أوفى قال : كان القوم إذا أتوا رسول الله

ﷺ بصدقة يصلي عليهم، فأتى أبي بصدقة فقال « اللهم صل على آل أبي أوفى » وأبو أوفى هو صاحب الصدقة .

ونظير هذا الاسم أهل البيت اسما ، فالرجل يدخل في اهل بيته كقول الملائكة (رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت) وقول النبي ﷺ « سلمان منا اهل البيت » وقوله تعالى (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) وذلك لان آل الرجل من يتولى أباه ونفسه ممن يؤول اليه، وأهل بيته هم من يأهله وهو من يأهل اهل بيته

فقد تبين ان الآية التي ظنوا أنها حجة لهم هي حجة عليهم في تعذيب فرعون مع سائر آل فرعون في البرزخ وفي القيامة ، ويبين ذلك ان الخطاب في القصة كلها إخبار عن فرعون وقومه . قال تعالى (ولقد ارسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين * إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب) الى قوله (قال الذين استكبروا إنا كلٌّ فيها ان الله قد حكم بين العباد) فأخبر عقب قوله (ادخلوا آل فرعون اشد العذاب) عن محاجتهم في النار وقول الضعفاء للذين استكبروا وقول المستكبرين للضعفاء (إنا كلٌّ فيها) ومعلوم ان فرعون هو رأس المستكبرين ، وهو الذي استخف قومه فأطاعوه ، ولم يستكبر احد استكبار فرعون فهو احق بهذا النعت والحكم من جميع قومه

(الموضع الثاني) وهو حجة عليهم لا لهم قوله (فاتبعوا امر فرعون وما امر فرعون برشيد * يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود) إلى قوله (بئس الرفد المرفود) اخبر انه يقدم قومه ولم يقل يسوقهم وانه اوردهم النار. ومعلوم ان المتقدم اذا اورد المتأخر النار كان هو اول من يردها والا لم يكن قادما بل كان سائقا . يوضح ذلك انه قال (وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة) فعلم انه وهم يردون النار وانهم جميعاً ملعونون في الدنيا والآخرة . وما اخلق

المحاج عن فرعون ان يكون بهذه المثابة فان المرء مع من احب (والذين كفروا بعضهم اولياء بعض) وأيضاً فقد قال تعالى (فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس) يقول: هلا آمن قوم فنفعهم ايمانهم إلا قوم يونس.
وقال تعالى (أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا في الارض - الى قوله - سنة الله التي قد خلت في عباده) فأخبر عن الامم المكذبين للرسل انهم آمنوا عند رؤية البأس وانه لم يك ينفعهم ايمانهم حينئذ ، وان هذه سنة الله الخالية في عباده ، وهذا مطابق لما ذكره الله في قوله لفرعون (آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) فان هذا الخطاب هو استفهام انكار اي الآن تؤمن وقد عصيت قبل ؟ فأنكر أن يكون هذا الايمان نافعاً أو مقبولا ، فمن قال انه نافع مقبول فقد خالف نص القرآن وخالف سنة الله التي قد خلت في عباده

يبين ذلك انه لو كان ايمانه حينئذ مقبولا لدفع عنه العذاب كما دفع عن قوم يونس، فانهم لما قبل ايمانهم متعوا إلى حين، فان الاغراق هو عذاب على كفره فاذا لم يك كافراً لم يستحق عذابا . وقوله بعد هذا (فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية) فوجب أن يعتبر به من خلفه ، ولو كان انما مات مؤمنا لم يكن المؤمن مما يعتبر باهلاكه وإغراقه . وأيضا فان النبي ﷺ لما أخبره ابن مسعود بقتل أبي جهل قال «هذا فرعون هذه الامة » فضرب النبي ﷺ المثل في رأس الكفار المكذبين له برأس الكفار المكذبين لموسى . فهذا يبين انه هو الغاية في الكفر فكيف يكون قدمات مؤمنا ؟ ومعلوم أن من مات مؤمنا لايجوز أن يوسم بالكفر ولا يوصف لان الاسلام يهدم ما كان قبله، وفي مسند أحمد واسحاق وصحيح ابن أبي حاتم عن عوف بن مالك عن عبدالله بن عمرو عن النبي ﷺ في تارك الصلاة « يأتي مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف »

﴿ هذا آخر ماوجد من هذه الرسالة ﴾

﴿فهرس رسالة﴾

حقيقة مذهب الاتحاديين أو وحدة الوجود

﴿تم الفهرس والحمد لله﴾

عبقرية شيخ الإسلام ابن تيمية

هو الإمام الفاضل المجتهد البارع التقي النقي قوي الحجة السالك مسالك السلف الصالحين والسيف القاطع للمبتدعين والملحدين مازال يناضل ويدافع طول عمره ريب المرتابين واشكالات المشككين الناشئة حول الكتاب والسنة لازال جهوده ومساعيه لبث العقائد الصافية ودمغ العقائد الأجنبية والدخيلة متلألئة في الآفاق كتلألؤ الشمس وسط النهار

كان رأسا في علم الحديث والتفسير والفقه وله التصانيف المشهورة المشتملة على اصول الدين وأحكامه والفتاوى المقبولة المملوءة بالحجج البينة ولم يكن رجل قلم وكتاب بل كان رجل سيف وجلاد يخرج مع الجيش ازاء العدو ويقاتل في الصف الأول

وله المزايا والخصائص يمتاز بها عن الاقران كان مصداقا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاتزال عصابة من امتى يقاتلون على امر الله ظاهرين لايضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذالك قال الذهبي مادحا له ما رأيت أشد استحضارا للمتون وعزوها منه كانت السنة بين عينيه وعلى طرف لسانه يصدق عليه أن يقال كل حديث لايعرفه ابن تيمية فهو ليس بحديث ومن ناحية أخرى كان فصيحا بليغا قوى الحجة ذكى الفؤاد سليم الفطرة متوقد الذهن وكان مجتهدا في العبادة منهمكا في ذكر الله ومع ذالك كان آمرا بالمعروف وناهيا عن المنكر مستنكرا مصطلحات المتكلمين والمتصوفين لايزال يجادل الفرق الهدامة (الشيعة والباطنية والجهمية والقدرية والمعتزلة والمرجية والحلولية الإتحادية) يهددهم ويزعجهم حتى يحصل له النصر والغلبة. وبعد ذالك فنحن نشكر الله على ان منحنا من التوفيق لطبع الكتاب "حقيقة مذهب الإتحاديين أو وحدة الوجود وبيان بطلانه بالبراهين النقلية والعقلية" التأليف لشيخ الإسلام ابن تيمية فيه رد عنيف لمسئلة وحدة الوجود التى ذكرها واثبتها ابن عربي في كتبه بالأدلة الواهية الواهنة كنسج العنكبوت وليعلم أن ليس ابن تيمية منفردا في رد عقيدة وحدة الوجود بل هناك جماعة من الأئمة المشهورين الموثقين كالعلامة السخاوى والعلامة

سعد الدین التفتازانی رحمہ والملا علی قاری والحافظ ابن حجر العسقلانی وشیخ الاسلام عز الدین
بن عبد السلام والحافظ أبی زرعة والعلامة سراج الدین البلقینی وغیرهم شکر اللہ مساعیهم
وبرد مضاجعهم آمین ۔

الناشر

محمد صادق خلیل مدیر ضیاء السنة إدارة الترجمة والتألیف
فیصل آباد، باکستان